سلسلة المعارف الإسلاميّة

العقيدة

مركز نون للتأليف والترجمة

شبكة المعارف الإسلامية
www.almaaref.org
الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

في رحاب العقيدة

اسـم الكتـاب: في رحاب العقيدة
إعـداد: مـركـز نـون للـتـأليـف والـتـرجـمـة
نـشـر: جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة
تاريـخ الطبـع: ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م.

بيروت ـ لبنان ـ المعمورة ـ الشارع العام
تلفون: 01/471070 فاكس: 01/476142
www.almaaref.org
Email:info@almaaref.org

سلسلة المعارف الإسلاميّة

في رحاب العقيدة

إعداد
مركز نون للتأليف والترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

الفهرس ٥

المقدّمة ١٥

الدرس الأوّل: الإيمان بالله تعالى ١٧

مقدّمة ١٩

الإيمان بوجود الله تعالى بديهيّ لا يحتاج إلى دليل ١٩

الفطرة دليل على وجود الله تعالى ٢٠

أدلّة وجود الله تعالى ٢١

١- برهان الفقر ٢١

٢- استحالة وجود المعلول بلا علّة ٢٢

الكون آية تدلّ على الخالق ٢٣

الدرس الثاني: التوحيد ٢٩

التوحيد أساس دعوة الأنبياء عليهم السلام ٣١

معنى التوحيد ٣١

مراتب التوحيد ٣١

المرتبة الأولى التوحيد في الذات ٣١

المرتبة الثانية التوحيد في الخالقية ٣٢

المرتبة الثالثة التوحيد في الربوبية ٣٣

المرتبة الرابعة التوحيد في العبادة ٣٥

الدرس الثالث: صفات الله تعالى ٣٩
من الصفات الثبوتية ٤٢
من الصفات السلبية ٤٥

الدرس الرابع: العدل ٥١
المقدمة ٥٣
الأمر بالعدل ٥٣
دواعي الظلم ٥٤
معالم عدالة الله تعالى ٥٥
الظلم في القرآن الكريم ٥٦
١- لا يظلم أحداً ٥٦
٢- الظلم من النفس ٥٧
٣- ذمّ الظالمين ٥٧
٤- إبليس والظالمون ٥٨

الدرس الخامس: الجبر والاختيار ٦١
المقدّمة ٦٣
الجبر عند المشركين ٦٣
الاعتقاد بالجبر عند بعض المسلمين ٦٤
الردّ عليهم ٦٥
عقيدة الشيعة بين الجبر والتفويض ٦٥
عقيدة الجبر والسياسة ٦٧
السرّ في انتهاج هذه السياسة هو ٦٨

الدرس السادس: فلسفة الشرور والآفات ٧١
المقدّمة ٧٣
توهّم الشرّ والخير ٧٣
المصائب والابتلاءات ٧٥
١- أساس المصائب ٧٥
٢- مصائب الكافرين ٧٥

ابتلاء المؤمنين ٧٦
١- البلاء هو امتحان واختبار..... ٧٦
٢- الابتلاء تأديب للمؤمن ٧٧
٣- الابتلاء تطهير لذنوب المؤمن ٧٧
٤- الابتلاء رفع للدرجات ٧٧

الدرس السابع: النبوّة ٨١

الغاية من خلق الإنسان..... ٨٣
الأنبياء وتحقّق الغاية ٨٤
الإيمان بجميع الأنبياء عليهم السلام ٨٤
فوائد بعثة الأنبياء عليهم السلام..... ٨٥
دور الأنبياء عليهم السلام ٨٦
١- التعليم ٨٧
٢- التبشير والإنذار..... ٨٧
٣- الدعوة لعبادة الله تعالى ٨٧
٤- إخراج الناس من الظلمات إلى النور..... ٨٧
٥- الشهادة على أعمال العباد ٨٧
٦- إبلاغ الرسالة للناس ٨٧
٧- الحكم بين الناس ٨٨
٨- الأسوة الحسنة..... ٨٨
صفات الأنبياء عليهم السلام ٨٨
العصمة..... ٨٨
١- الدليل على العصمة..... ٨٩
٢- أنحاء العصمة ٨٩
٣- المعصوم غير مجبور على ترك المعصية..... ٩٠

الدرس الثامن: النبوّة الخاصّة..... ٩٣

مقدّمة..... ٩٥
الدليل على نبوّة نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم..... ٩٦
معجزات نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم..... ٩٨

القرآن المعجزة الخالدة ٩٨
النبوّة الخاتمة ٩٩

الدرس التاسع: الإمامة ١٠٣
المقدّمة ١٠٥
مفهوم الإمامة ١٠٦
الإمامة استمرار للنبوّة ١٠٦
من يختار الإمام عليه السلام ؟ ١٠٧
النصّ على الإمام عليه السلام ١٠٨
النصّ على الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام ١٠٩

الدرس العاشر: معرفة الإمام ١١٥
تمام الدين ١١٧
الإمامة أساس استمرار الإسلام ١١٧
الإمامة ضمانة التطبيق الصحيح لأحكام الإسلام ١١٨
الإمامة ضمان وحدة المسلمين ونظامهم ١١٩
معنى المعرفة ١٢٠
التقصير في معرفتهم عليهم السلام ١٢٠

الدرس الحادي عشر: العصمة ١٢٥
ما هي العصمة؟ ١٢٧
العصمة عن الذنوب ١٢٧
العصمة عن الخطأ والاشتباه ١٢٨
منشأ العصمة ١٣٠
١ - العلم ١٣٠
٢ - التقوى ١٣٠
هل الإمام مجبور على ترك المعصية؟ ١٣١

الدرس الثاني عشر: الولاية التكوينية ١٣٧
معنى الولاية التكوينية ١٣٩
الولاية التكوينية في القرآن الكريم ١٣٩
الأدلة على الولاية التكوينية ١٤٠

ثبوت هذه الولاية لأئمّة أهل البيت عليهم السلام ١٤١
١ – عندهم علم الكتاب..... ١٤١
٢ – يقدرون على معجزات الأنبياء عليهم السلام ١٤٢
٣ – قدرتهم عليهم السلام على ما يريدون..... ١٤٢

الدرس الثالث عشر: التوسُّل..... ١٤٧
ما هو التوسُّل؟ ١٤٩
تشريع التوسّل ١٤٩
أدلّة التوسّل ١٥٠
بمن نتوسّل؟..... ١٥٢
١ – التوسّل بالقرآن الكريم ١٥٢
٢– التوسّل بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام ١٥٣

الدرس الرابع عشر: الشفاعة ١٥٧
ما هي الشفاعة؟ ١٥٩
ما هو الدليل على الشفاعة؟ ١٦٠
الآيات القرآنية..... ١٦٠
الأحاديث الشريفة ١٦١
من هم الشفعاء؟..... ١٦٢
١ – الأنبياء عامّة ١٦٢
٢ – العلماء..... ١٦٢
٣ – الشهداء ١٦٢
٤ – الإنسان المؤمن ١٦٢
من الّذي تناله الشفاعة؟..... ١٦٣
١ – صحّة العقيدة ١٦٣
٢ – عدم الاستخفاف بالصلاة ١٦٤
أيّها المؤمن لا تغترّ..... ١٦٤

الدرس الخامس عشر: الرجعة ١٦٩
معنى الرجعة..... ١٧١
الآيات الدالّة على الرجعة ١٧١

الروايات الدالّة على الرجعة ١٧٤
الرجعة في الأدعية والزيارات ١٧٦
زمان حدوث الرجعة ١٧٧
ما هي أهداف الرجعة؟ ١٧٨
- الرجوع لنصرة الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف ١٧٨
- رجوع بعض المؤمنين للاقتصاص والثأر من قاتليهم ١٧٨
من الّذين يرجعون؟ ١٧٩
رجوع عامّة المؤمنين ١٧٩
رجوع قوم خاصّين من المؤمنين والكافرين ١٧٩
رجوع الإمام الحسين عليه السلام ١٧٩
رجوع الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ١٨٠
رجوع كلّ الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ١٨٠

الدرس السادس عشر: الموت والاحتضار والبرزخ ١٨٣

تمهيد ١٨٥
الموت في الأحاديث الشريفة ١٨٥
١- الجسر ١٨٥
٢- القنطرة ١٨٦
الموت سنَّةٌ عامةٌ في الخلق ١٨٦
ما هي حقيقة الموت؟ ١٨٦
لماذا يستوحش الإنسان من الموت؟ ١٨٧
ما يهوِّن سكرات الموت ١٨٨
١- صلة الرحم ١٨٨
٢- برّ الوالدين ١٨٨
٣- كسوة المؤمن ١٨٩
٤- قراءة سورة الزلزلة ١٨٩
البرزخ ١٩٠
بقاء الروح أساس للإيمان بالبرزخ ١٩٠
تكوُّن الأرواح في أبدان مثاليَّة ١٩١

ضغطة القبر ١٩١
المُنجيات من ضَغطَة القَبر ١٩٢
١- قراءة سورة النساء ١٩٢
٢- قراءة سورة الزخرف ١٩٢
٣- قراءة سورة القلم ١٩٣
٤- صلاة الليل ١٩٣
٥- الدعاء ١٩٣
السؤال في القبر ١٩٣
ما يدخل مع الإنسان في قبره ١٩٤
ما ينفع الميِّت في قبره ١٩٤

الدرس السابع عشر: الخروج من القبر وصحائف الأعمال ١٩٩

تمهيد ٢٠١
الفرق بين الحشر والنشر ٢٠٢
من يحشر؟ ٢٠٢
الأزواج الثلاثة ٢٠٣
صحائف الأعمال ٢٠٤
صفة صحيفة الأعمال ٢٠٥
١- الدقّة في الإحصاء ٢٠٥
٢- الحجّة القاطعة ٢٠٦
٣- شموله للحسنات وللسيئات ٢٠٦
كيف يرى الإنسان عمله؟ ٢٠٧
هو موقف لا يذكر فيه أحدٌ أحداً ٢٠٧
حبّ أهل البيت عليهم السلام نافع في ذلك الموقف ٢٠٨
كتاب للأمم أيضاً ٢٠٨

الدرس الثامن عشر: الميزان والصراط والمرصاد ٢١٣

الميزان ٢١٥
ميزان أم موازين؟ ٢١٦
الميزان الدنيويّ للإيمان ٢١٧
ما هي الأعمال الثقيلة في الميزان؟ ٢١٧

١- الشهادة بوحدانية الله ونبوّة الرسول ﷺ ٢١٧
٢- ذكر الله تعالى ٢١٧
٣- الصلاة على محمّد وآل محمّد ﷺ ٢١٨
٤- حبُّ النبي وآله ﷺ ٢١٨
٥- حسن الخلق ٢١٨
٦- مداد العلماء ٢١٨
الصراط والمرصاد ٢١٩
صراط في الدنيا وآخر في الآخرة ٢١٩
ما هي حقيقة الصراط؟ ٢٢١
الصراط ممرٌّ حتميٌّ ٢٢١
ما بين صراط الدنيا والآخرة ٢٢٢
مواقف على الصراط ٢٢٢

الدرس التاسع عشر: محكمة الآخرة ويوم الحساب ٢٢٧

يوم القيامة ٢٢٩
الحاكم والقاضي هو الله تعالى ٢٣٠
صفة حكمه تعالى ٢٣٠
١- العدل المطلق ٢٣٠
٢- لا محاباة ولا أنساب تنفع ٢٣١
٣- حكمه لا يقبل النقض ٢٣١
الشهود ٢٣٢
١- الشاهد الأوّل الله سبحانه ٢٣٢
٢- الشاهد الثاني الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ٢٣٢
٣- الشاهد الثالث الأعضاء والجوارح ٢٣٣
٤- الشاهد الرابع الملائكة ٢٣٣
٥- الشاهد الخامس صحيفة الأعمال ٢٣٤
٦- الشاهد السادس الأرض ٢٣٤
السرعة في المحاكمة ٢٣٥
المتّهم ٢٣٥
أرض المحكمة ٢٣٦

من مواقف القيامة المهولة الحساب ٢٣٦
أنواع الحساب وأصناف المحاسبين..... ٢٣٧
الحساب دقيق ٢٣٨
المسائل الّتي يُسأل عنها يوم القيامة ٢٣٨
١- العمر والمال وحبّ أهل البيت عليهم السلام ٢٣٩
٢- الصلاة ٢٣٩
٣- الحواسّ واستعمالها..... ٢٣٩
٤- الدَيْن ٢٣٩
٥- الحقوق والمظالم ٢٤٠

الدرس العشرون: الجنّة والنار ٢٤٣

معنى الجنَّة ٢٤٥
الوصف العام للجنَّة..... ٢٤٥
لا تفنى ولا تبيد..... ٢٤٦
نعيم محض ٢٤٦
أبواب الجنّة ٢٤٧
درجات الجنَّة ٢٤٧
أنواع الجنَّة ٢٤٨
طعام أهل الجنّة وشرابهم ٢٤٨
أنهار الجنَّة وعيونها ٢٤٨
النعم الروحيَّة..... ٢٤٩
صفة جهنّم ٢٤٩
أوصاف جهنّم في القرآن الكريم..... ٢٥٠
١- جهنَّم ٢٥٠
٢- سقر ٢٥٠
٣- السَّعير ٢٥٠
٤-الجحيم..... ٢٥٠
٥- الحطمة ٢٥١
٦- لظى..... ٢٥١
٧- الهاوية ٢٥١

أبواب جهنَّم ودركاتها ٢٥١
أنواع العذاب في جهنَّم..... ٢٥٢
وصف بالإجمال لعذاب النَّار ٢٥٢
طعام أهل النَّار وشرابهم..... ٢٥٣
لباس أهل النَّار ٢٥٤

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين

الإنسان هو أهمّ موضوعٍ نال اهتمام المدارس الفكريّة بمختلف توجّهاتها لأنّه محور الخلقة في الحياة الدّنيا. فقد تناولت هذه المدارس كيانه بالبحث والتّحليل من جميع النّواحي، مثل كيفيّة خلقته وحدود قدرته ومكامن شخصيّته ومكانته في عالم الخلقة وصلته بالآخرين وأبعاده الوجوديّة وحقيقة الكمال الذي يأخذ بيده إلى أُفق السعادة المنشودة. إلا أنّ أهمّ موضوع يُطرح على طاولة البحث هو معرفة مكانة الإنسان وقيمته الحقيقيّة، وحقيقة الكمال المنشود الذي من شأنه أن يضع الإنسان في موقعه الذي يستحقّه، وبالتالي يضمن له السعادة وبلوغ برّ الأمان، والمدخل لهذا العالم يبدأ من المعرفة العقائدية الصحيحة، والاعتقاد الراسخ بالعقيدة الإسلامية.

ولا يختلف اثنان في أنّ مفاهيم كتاب الله تعالى وتعاليم ديننا الحنيف تؤكّد على عدم وجود أيّ تعارضٍ بين مكانة الإنسان وعظمة خالقه، وكذلك نستلهم منها عدم وجود تضاربٍ بين محوريّة الله تعالى في الكون وكرامة الإنسان وبلوغه الكمال المنشود؛ وبالطبع فإنّ ادّعاء هكذا تعارضٍ أو تضاربٍ مرفوضٌ جملةً وتفصيلاً، بل الواقع أنّ أوامر الله تعالى وتعاليم الشريعة برمّتها

تنصــبّ على هداية الإنســان وسموّ شخصيّتــه، أي إنّه عزّ وجــلّ قد جعل جميع القوانين والأحكام الشرعيّة تتمحور حول الإنسان وسعادته ومصالحه الحقيقيّة. فــالله خلق ابــن آدم ويعلم بجميع أبعــاده الوجوديّة وطاقاتــه الكامنة ومتطلّباته ومصالحــه، لــذا حاشى لــه أن يغفل عنه، حيث لــم يترك جانباً مــن كيان هذا المخلوق إلا وساقه نحو الصراط القويم. فالشريعة المقدّسة التي تقود الإنسان نحــو الهدى، لا تتأثّر بأيّة عوامل باطنيّــة، مثل المصالح الشخصيّة والمعتقدات والميول الذاتيّــة والمحدودة، أو خارجيّة مثل المصالــح الاجتماعيّة والتوجّهات الجماعيّــة والعوامل البيئيّة ومختلف الضغوط التــي يتعرّض لها الإنسان؛ لذلك ليس هناك أيّ عاملٍ يؤثّر على التشريع الذي يتمحور حول تلبية حاجات الإنسان وسوقه نحو الكمال المنشود.

ونحــن إذ نقدّم هذا الكتاب (في رحاب العقيدة) نبتغي منه تقديم مجموعة مــن المفاهيم العقائدية القرآنية وغيرهــا، لتكون كمدخل مفاهيمي لسلسلة من الدراســات الأخرى، ويقدّم الفائدة العملية والعلميــة في نفس الوقت لكل باحث عن الكمال المنشود.

مركز نون للتأليف والترجمة

الدرس الأوّل

الإيمان بالله تعالى

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى بديهيّة وجود الله تعالى.
2- أن يستدل بدليل الفطرة على وجود الله تعالى.
3- أن يستدل بدليل العلّيّة على وجود الله تعالى.
4- أن يستدل بخلق الكون على وجود الله تعالى.

مقدّمة

عـن أميـر المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «**أوّل الديـن معرفته [الله] وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الإخلاص له**»[1].

إنّ الطـرق إلى معرفة الله تعالى كثيرة، كما قيل إنّ السبل إلى الله بعدد الخلائق بل إنّ الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق حيث يقول الشاعر:

وفـــي كـــلّ شـــيء لـــه آيـــة تـــــدلّ عـــلـــى أنّـــــه واحـــد

ونحـن هنا نذكر بعض الأدلّة القرآنية لأصـول العقائد الإسلاميـة ونضيء على بعض الأدلّة الّتي لها ارتباط بالآيات القرآنية.

الإيمان بوجود الله تعالى بديهيّ لا يحتاج إلى دليل

قبـل أن نبـدأ بالحديث عن بعض الأدلّـة على وجود الله تعالى مـن خلال القرآن الكريم، نُلفت إلى أنّ القرآن الكريم يؤكّد حقيقة أنّ وجود الله أمر بديهيّ لا شكّ فيه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾[2].

(1) نهج البلاغة، السيّد الرضي، الخطبة:1.

(2) سورة إبراهيم، الآية: 10.

إلا أنــه رغــم وضوح وجــود الله وبداهته قد وضــع القرآن الكريم أمــام من يريد معرفة الله عن طريق التفكّر والتعقّل أدلّة وبراهين لإزالة جميع الشكوك والاحتمالات من الذهن والنفس. من أهم هذه الأدلة الفطرة.

الفطرة دليل على وجود الله تعالى

يذهب أكثر المفسرين إلى أنّ فطرية الإيمان بالله تعالى أمر يمكن استفادته من الآيــات القرآنيــة، أي أنّها تصرِّح أنّ الاعتقاد بوجــود الله تعالى فطريّ لدى الإنسان أي أنّ الإيمــان به سبحانه وتعالى عنــد الإنسان كسائر الغرائز المتأصلّة في النفس. فكما يحبّ الإنسان الخير فطرياً أو يكره الشرّ كذلك، يحبّ أن يبحث عن الله ويؤمن به فطرياً.

يقــول تعالــى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

ففي هذه الآية لم يجعل مسألة معرفة الله والإيمان به فقط أمراً فطرياً بل وصف الدين بكونه فطرياً.

نعــم ليس معنى فطرية الإيمان بــالله تعالى أن يكون الإنســان بالضرورة متوجّهاً إلــى الله دائمــاً ملتفتاً إليــه في جميع حالاتــه، إذ ربّ عوامل تتسبّب فــي إخفاء هذا الإحساس في خبايا النفس، وتمنع وتحجب الفطرة عن اكتشاف وجود الخالق تعالى، وعندما يرتفع ذلك الحجاب، فإذا به يسمع نداء الفطرة.

فعندمــا تقع للإنسان حــوادث خطيرة كهجوم الأمواج العاتيــة على سفينة يركبهــا فــي عرض البحر أو حصول عطل فنيّ في الطائــرة يهدِّدها بالسقوط أو مــا إلــى ذلك، نراه يتوجّه من فوره وبصورة تلقائيــة فطرية إلى الله تعالى،

(1) سورة الروم، الآية: 30.

بـلا حاجة إلى إعطائه دروسـاً استدلالية على وجـود اللّه تعالى. يقول تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[1].

ويقول تعالـى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[2].

وكذلـك يقـول تعالـى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3]، إلـى غير ذلك من الآيـات الّتي تتحدَّث عن هـذا المعنـى.

أدلّة وجود الله تعالى

1. برهان الفقر:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[4].

لا ريب أنّ فقر الشيء دليل قاطع على احتياجه إلى «غنيّ قويّ» يزيل حاجته، من هنا لا بدّ أن يكون لهذا الكون بأسره غنيّ أفاض عليه الوجود.

إنّ الظواهـر الكونية من الذرّة إلى المجـرّة أي السماوات والأرض وما فيهما هي

(1) سورة يونس، الآيتان:22 و 23.
(2) سورة العنكبوت، الآية: 65.
(3) سورة يونس، الآية: 12.
(4) سورة فاطر، الآيات: 15 ـ 17.

جمـادات فقيـرة في ذاتهـا، لم تكن ثمّ وُجـدت فهي مسبوقة بالعـدم، فلكي توجد لا بـدّ مـن موجد لها لأنّهـا لا يمكـن أن توجد نفسهـا بنفسها. وهذا الموجـد لها لا بدّ وأن يكـون غنياً عنده القدرة على إيجادها ويخرجها مـن العدم إلى الوجود. وكذلك الإنسان يدخل ضمن هذه القاعدة، فإنّه في ذاته فقير ليس غنياً أي لا يقدر أن يوجد نفسـه بنفسه بل يحتـاج إلى قوة أكبر منه توجده، لذلـك يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾[1]. وقـد ركّز القرآن الكريم في مواضع متعدّدة على صفة «**الغنيّ**» في الذات الإلهية المقدسة بحيث يمكن اعتبار ذلك إشارة ضمنيـة أو صريحـة إلى هذا البرهـان، أي برهان الفقر، ومن هـذه الآيات: ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ﴾[2] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

2. استحالة وجود المعلول بلا علّة:

يقـول تعالـى: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[3]، ﴿أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[4]. هـذه الآيات وما بعدها تطرح تساؤلات واحتمالات حول مبدأ الإنسان وعلّة وجود العالم:

أ- أن تكون الكائنات البشرية قد وجدت بلا علّة وسبب بمعنى أن تكون قد وجدت صدفة، ومـن تلقاء نفسها. وقد طرح هذا السـؤال في قوله تعالى: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ﴾.

ب- أن تكون هي الخالقة لنفسها وهي الصانعة لذاتها أي أوجدت نفسها بنفسها وإلى هذا الاحتمال أشارت جملة ﴿أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾.

(1) سورة فاطر، الآية: 15.
(2) سورة محمد، الآية: 38.
(3) سورة الطور، الآيتان: 35 ـ 36.
(4) سورة الطور، الآية: 43.

هذه هي الاحتمالات وهي واضحة البطلان:

أمّا بطلان الاحتمال الأول: لبداهة أنّ لكلّ ظاهرة وحادث ومعلول؛ موجداً ومحدثاً وعلّة، هذا ما يحكم به العقل السليم، ولو ادّعى أحد وقوع معلول بلا علّة لسخر منه العقلاء.

أما بطلان الاحتمال الثاني: فهو كذلك بديهيّ البطلان. لأنّ معنى قولك (خلق الشيء نفسه) هو أن يكون الشيء موجوداً قبل ذلك ليتسنّى له خلق نفسه. ومعنى هذا: توقّف الشيء وتقدّمه على نفسه، أي أن يكون موجوداً قبل أن يوجد وهو أمر مستحيل أيضاً وفاقد الشيء لا يعطيه، وقد فرض فاقداً للوجود فكيف يهبه؟

الكون آية تدلّ على الخالق

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1]. في هذه الآية الكريمة وفي غيرها الكثير من الآيات، يلفت القرآن الكريم نظرنا إلى ظاهرة الحياة وعشرات (بل مئات وآلاف) العوامل الخفية والبارزة الّتي ساعدت على وجود ظاهرة الحياة على هذا الكوكب، وكأنّها تقول: هل يمكن اجتماع كلّ هذه العوامل والشرائط بمحض المصادفة، ودون وجود خالق هو الّذي أوجدها ورتّبها ونظّمها؟

لقد خُلقت الأرض بجاذبيّة خاصّة وعلى قطر خاصّ بحيث تجذب بها المياه والهواء نحو مركزها وتحافظ عليها.

(1) سورة البقرة، الآية: 164.

فلو أنّ قطر الأرض كان ربع قطرها الفعليّ لعجزت جاذبيتها عن الاحتفاظ بالماء والهواء على سطحها ولارتفعت درجة الحرارة إلى حدٍّ الموت.

ولو أنّ الأرض بعدت عن الشمس بمقدار ضعف ما هي عليه الآن لانخفضت درجة حرارتها (الأرض) إلى ربع حرارتها الحالية، ولتضاعف طول مدّة الشتاء فيها، ولتجمّدت كلّ الأحياء فيها.

ولو نقصت المسافة بين الأرض والشمس إلى نصف ما هي عليه الآن لبلغت الحرارة الّتي تتلقّاها الأرض أربعة أمثال، ولآلت الفصول إلى نصف طولها الحاليّ ولصارت الحياة على سطح الأرض غير ممكنة.

مثلاً: تدور الأرض حول نفسها في كلّ ٢٤ ساعة دورة واحدة، وهي في دورتها هذه تسير بسرعة ألف ميل في الساعة. فلو تناقص ذلك (أي بلغ مقدار سرعتها مائة ميل في الساعة مثلاً) لتضاعف طول الليالي والأيام إلى عشرة أضعاف ما هي عليه الآن، ولأحرقت شمس الصيف بحرارتها الملتهبة كلّ النباتات في الأيام الطويلة، ولجمّدت برودة الليالي الطويلة من جانب آخر كلّ البراعم والنباتات الصغيرة. ولو أنّ شعاع الشمس الواصل إلى الأرض تناقص إلى درجة النصف ممّا هو عليه الآن لهلكت جميع أحياء الأرض من فرط البرد. ولو تضاعف هذا المقدار لمات كلّ نبت بل لماتت نطفة الحياة وهي في بطن الأرض، من شدّة الحرارة.

إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة جدّاً، الّتي تدلّ على ضرورة وجود الإله العليم الحكيم المدبِّر المنظّم، وتنفي وجود الكون مصادفة[1].

(1) انظر: نفحات القرآن، ناصر مكارم الشيرازي، ج2، ص184 وما بعدها.

خلاصة الدرس

1- الإيمان بوجود الله تعالى بديهيّ لا يحتاج إلى دليل وهذا ما أكّده القرآن الكريم ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

2- الفطرة دليل على وجود الله تعالى، وأنّ الإيمان به كسائر الغرائز المتأصلة في النفس كحبّ الخير وكره الشرّ.

3- الفقر هو دليل قاطع على الحاجة إلى غنيّ قويّ يزيل هذه الحاجة بإفاضة الوجود عليها وما تحتاجها.

4- الكون آية تدلّ على الخالق يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾.

أسئلة

1- اذكر من القرآن الكريم دليل الفطرة على وجوده تعالى.

2- متى تتحرَّك الفطرة وتصغو عند الإنسان؟

3- كيف يكون الفقر دليلاً على وجود الله تعالى؟

4- اذكر التساؤلات والاحتمالات حول مبدأ الإنسان وعلة وجوده.

5- كيف تستدلّ على وجود الله تعالى من خلال خلق الكون؟

معرفة الله

وروى الصدّوق في كتاب التوحيد عن مولانا أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه بعث إليه المأمون فأتاه فقال بنو هاشم يا أبا الحسن اصعد المنبر فانصب لنا علماً نعبد الله عليه، فصعد صلوات الله عليه وقعد مليّاً لا يتكلّم مطرقاً ثمّ انتفض انتفاضة واستوى قائماً وحمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيّه وأهل بيته ثمّ قال: أوّل عبادة الله معرفته وأصل معرفته توحيده ونظام توحيده نفي الصفات عنه بشهادة العقول أنّ كلّ صفة وموصوف مخلوق، وشهادة كلّ مخلوق أنّ له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف، وشهادة كلّ صفة وموصوف بالاقتران وشهادة الاقتران بالحدث وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث فليس الله من عرف بالتشبيه ذاته ولا إياه وحّد من اكتنهه، ولا حقيقته أصاب من مثّله، ولا به صدق من نهاه، ولا صمد صمده من أشار إليه، ولا إيّاه عنى من شبّهه، ولا له تذلّل من بعّضه، ولا إيّاه أراد من توهمّه، كلّ معروف بنفسه مصنوع، وكلّ قائم في سواه معلول بصنع الله يستدلّ عليه، وبالعقول يعتقد معرفته، وبالفطرة تثبت حجّته خلق الله الخلق حجاب بينه وبينهم، ومباينته إيّاهم مفارقته أينيّتهم، وابتداؤه إياهم دليل على أن لا ابتداء له لعجز كلّ مبتدئ عن ابتداء غيره، وأدوه[1] إيّاهم دليل على أن لا أداة فيه لشهادة الأدوات بفاقة المؤدين، فأسماؤه تعبير وأفعاله تفهيم وذاته حقيقة وكنهه تفريق بينه وبين خلقه وغيوره[2] تحديد لما سواه. فقد جهل الله من استوصفه، وقد تعدّاه من اشتمله، وقد أخطأ من اكتنهه، ومن قال كيف فقد شبّهه، ومن قال لِمَ فقد علّله، ومن قال متى فقد وقتّه، ومن قال فيمَ

(1) أدوه: في بعض الكتب وأدويته: أي جعلهم ذوي أدوات وأعضاء يحتاجون إليها، دليل على أنّه ليس فيه شيء منها، وإلا لاحتاج إليها وهو الغني المطلق.

(2) غيور: مصدر بمعنى المغايرة، أي كونه مغايراً لما سواه تحديد له.

فقــد ضمّنــه، ومن قال إلى مَ فقد نهاه، ومن قال حتّى فقد غياه، ومن غيّاه فقد غاياه ومــن غاياه فقد جــزّأه، ومن جزأه فقد وصفــه، ومن وصفه فقد ألحــد فيه. لا يتغيّر الله بانغيــار المخلوق كمــا لا يتحدّد بتحديد المحدود، أحــد لا بتأويل عدد، ظاهر لا بتأويــل المباشر، متجلٍّ لا باستهلال رؤية، باطن لا بمزايلة، مباين لا بمسافة، قريب لا بمداناة، لطيف لا بتجسّم، موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدّر لا بجول[1] فكــرة مدبّــر لا بحركة، مريد لا بهمامة، شاء لا بهمّة، مدرك لا بمحسة سميع لا بآلة، بصيــر لا بــأداة، لا تصحبه الأوقات ولا تضمنه الأماكــن ولا تأخذه السنات ولا تحدّه الصفات ولا تقيّده الأدوات سبق الأوقات كونه والعدم وجوده والابتداء أزله.

شرح الأسماء الحسنى (الملا هادي السبزواري، ج١، ص٢٢)

(1) جول فكرة: أي لا يحتاج في تقديره وخلقه إلى جولان الفكر وإعمال التروي.

الدرس الثاني

التوحيد

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى معنى التوحيد.

2- أن يُعدِّد مراتب التوحيد.

3- أن يذكر معاني كل مرتبة من هذه المراتب.

التوحيد أساس دعوة الأنبياء عليهم السلام

التوحيد هو أصل جميع المسائل الاعتقادية الّتي تصدَّرت التعاليم السماوية، وهي تعدّ أساساً لسائر التعاليم والمعارف الإلهية الّتي جاء بها الأنبياء والرسل.

فالتوحيد هو أصل من أصول الدين، يجب الإيمان به ومنكره يعتبر كافراً ويخرج عن ملّة المسلمين.

معنى التوحيد

التوحيد هو الأمل الأصل من أصول الدين وهو الاعتقاد بأنّ اللّه تعالى واحد أحد لا شريك له ولا شبيه ولا كفو له.

مراتب التوحيد

للتوحيد مراتب عديدة، ويؤدّي إنكارها إلى الخروج عن الإيمان والإسلام، وهذه المراتب هي:

1. المرتبة الأولى: التوحيد في الذات:

والمراد منه هو أنّه سبحانه واحد لا نظير له، فردٌ لا مثيل له، بل لا يمكن أن يكون له نظير أو مثيل.

ويدلّ على ذلك قوله سبحانه: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُمۡ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[1].

(1) سورة الشورى، الآية: 11.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾[2].

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى واحد لا نظير له ولا مثيل ولا ثان ولا عدل.

وقد كفر من ادّعى له شريكاً أو مثيلاً أو جعله ثالث ثلاثة كما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[3].

ولو كان لله تعالى شريك لاختلَّ نظام الكون وفسد ولذهب كلّ إله بما خلق كما يقول تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[4].

جاء في وصية أمير المؤمنين عليه السلام لولده الحسن عليه السلام: «**يا بنيّ لو كان لربك شريك، لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته ولكنّه إله واحد كما وصف نفسه...**»[5]. فإنّه من الطبيعيّ لو كان هناك شريك لله تعالى لظهرت آثاره ولأرسل الرسل تبشّر به وتدعو إليه. ومع عدم وجود هذه الآثار كيف نحكم بوجوده؟ فهذا يدلّ على عدم وجود شريك لله تعالى.

المرتبة الثانية: التوحيد في الخالقية:

والمراد أنّه ليس في الوجود خالق أصيل غير الله، ولا فاعل مستقلّ سواه، وأنّ كلّ ما في الكون من مجرَّات ونجوم وكواكب وأرض وجبال وبحار، وما فيها ومن فيها، وكلّ ما يُطلق عليه أنّه فاعل وسبب فهي موجودات مخلوقة لله تعالى، وأنّ كلّ ما ينسب إليها من الآثار ليس لذوات هذه الأسباب، وإنّما ينتهي تأثير هذه المؤثرات إلى الله

(1) سورة الإخلاص، الآيات: 1 ـ 4.
(2) سورة الزمر، الآية: 4.
(3) سورة المائدة، الآية: 73.
(4) سورة الأنبياء، الآية: 22.
(5) نهج البلاغة، السيّد الرضي، ج3، ص43.

سبحانـه، فجميع هذه الأسباب والمسببات رغم ارتبـاط بعضها ببعض مخلوقة لله، فإليه تنتهي العلّية والسببية، فهو علّة العلل ومسبِّبها.

ويدلّ على ذلك قوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾[2].

وقوله جلَّ وعلا: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[3].

وقولـه سبحانـه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُ﴾[4] إلى غير ذلك آيات كثيرة تدلّ على ذلك.

المرتبة الثالثة: التوحيد في الربوبية:

والمـراد منه هـو أنّ للكون مدبّراً واحداً، ومتصرفاً واحـداً لا يشاركه في التدبير شـيء، وأنّ تدبيـر الملائكـة وسائـر الأسبـاب إنّما هو بأمـره سبحانـه. وهذا على خـلاف بعض المشركين حيث كان يعتقد أنّ الّـذي يرتبط بالله تعالى إنّما هو الخلق والإيجاد والابتداء، وأمّا التدبيـر فقد فوِّض إلى الأجرام السماوية والملائكة والجنّ والموجـودات الروحية الّتي كانت تحكي عنها الأصنـام المعبودة، وليس له أيّ دخالة في تدبير الكون وإدارته وتصريف شؤونه.

يقـول تعالـى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[5] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ

(1) سورة الرعد، الآية: 16.
(2) سورة الزمر، الآية: 62.
(3) سورة غافر، الآية: 62.
(4) سورة الأنعام، الآية: 102.
(5) سورة يونس، الآية: 3.

تُوقِنُونَ ﴾[1].

فـإذا كان هــو المدبِّر وحده فيكون معنى قوله تعالــى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾[3] أنّ هؤلاء مدبِّرات بأمره وإرادته تعالى، فلا ينافي ذلك انحصار التدبير الاستقلاليّ في اللّه سبحانه.

وقد استدلّ القرآن الكريم على وحدة المدبّر في العالم في آيتين:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[4].

﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[5].

وهما يعنيان أنّ تصور المدبِّر لهذا العالم على وجوه:

1- أن يتفــرّد كلّ واحد من الآلهة بتدبير مجموع الكون باستقلاله، ففي هذه الصورة يلــزم تعدّد التدبيــر؛ وهذا يستلزم طــروء الفساد على العالــم وذهاب الانسجام والنظام المشهود. وهذا ما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا...﴾.

2- أن يدبّــر كلّ واحــد قسماً من الكون الّذي خلقه، وعندئذ يجب أن يكون لكلّ جانب مــن الجانبين نظام مستقلّ خاصّ مغاير لنظام الجانب الآخــر وغير مرتبط به أصــلاً، وعندئذ يلزم انقطاع الارتباط وذهــاب الانسجام والنظام من الكون، في حيــن أنّنا لا نرى في الكــون إلّا نوعاً واحداً من النظام يسيــر على قانون مترابط دقيــق يســود كلّ جوانب الكون من الذرّة إلى المجــرّة. وإلى هذا الوجه أشار قوله

(1) سورة الرعد، الآية: 2.
(2) سورة النازعات، الآية: 5.
(3) سورة الأنعام، الآية: 61.
(4) سورة الأنبياء، الآية: 22.
(5) سورة المؤمنون، الآية: 91.

تعالى: ﴿... إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾.

3- أن يتفضّل أحد هذه الآلهة على البقيّة ويكون حاكماً عليهم ويوحّد جهودهم وأعمالهم ويسبغ عليها الانسجام والاتحاد والنظام الواحد وعندئذ يكون الإله الحقيقيّ هو هذا الحاكم دون الباقين.

وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، وإلاّ لو لم يكن هناك إله واحد لتصارع الآلهة وخرب الكون وفسد وفني؛ لأنّ كلّ واحد يريد أن يعلو على الآخر ويتفرّد في الحكم والتدبير.

المرتبة الرابعة: التوحيد في العبادة:

وهو أن تؤمن بأنّ المستحقّ للعبادة هو الله تعالى وحده لأنّه هو الخالق والعبودية من شأن الخالق الغنيّ غير المحتاج، لذلك يستحقّها وحده دون غيره كما نقرأ في سورة الحمد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ فهنا القرآن الكريم حصر العبودية بالله تعالى حيث يقول: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾[1].

(1) سورة آل عمران، الآية: 64.

خلاصة الدرس

1- التوحيد هو من أهمّ المسائل الاعتقادية الّتي تصدرت التعاليم السماوية ويعد أساساً لسائر التعاليم والمعارف الإلهية الّتي جاء بها الأنبياء والرسل.

2- التوحيد هو الاعتقاد بأنّ اللّه تعالى واحد أحد لا شريك له ولا شبيه ولا مثيل.

3- للتوحيد مراتب عديدة يؤديّ إنكارها إلى الخروج عن الإيمان والإسلام منها:

- التوحيد في الذات: المراد منه أنه سبحانه لا نظير له ولا شبيه.
- التوحيد في الخالقية: المراد منه أنه ليس في الوجود خالق أصيل غير اللّه تعالى.
- التوحيد في الربوبية: المراد منه أنه ليس للكون من مدبّر ولا متصرّف إلا اللّه عزّ وجل.
- التوحيد في العبادة: المراد منه أنه ما من مستحقّ للعبادة في هذا الوجود إلا اللّه تعالى.

أسئلة

1- ما معنى التوحيد؟

2- عدّد مراتب التوحيد.

3- كيف استدلّ القرآن الكريم على وحدة المدبّر؟

4- ما معنى التوحيد في الذات؟

5- ما معنى التوحيد في العبادة؟

التوحيد

قال الإمام الصادق عليه السلام للمفضّل بن عمر الجعفيّ[1]:

يا مفضّل أوّل العبر والدلالة على الباري جلّ قدسه تهيئة هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها على ما هي عليه، فإنّك إذا تأمّلت العالم بفكرك وخبرته بعقلك وجدته كالبيت المبنـيّ المعدّ فيـه جميع ما يحتاج إليه عباده، فالسمـاء مرفوعة كالسقف، والأرض ممـدودة كالبساط، والنجوم مضيئة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وكلّ شيء فيها لشأنه معدّ، والإنسان كالمالك ذلك البيت والمخوّل جميع ما فيه، وضروب النبـات مهيّأة لمأربـه، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحـه ومنافعه، ففي هذا دلالـة واضحة علـى أنّ العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظـام وملاءمة وأنّ الخالق له واحـد وهو الّذي ألّفه ونظمه بعضاً إلى بعض جـلّ قدسه وتعالى جدّه وكرم وجهه ولا إله غيره تعالى عمّا يقول الجاحدون وجلّ وعظم عمّا ينتحله الملحدون.

نبـدأ يا مفضّل بذكـر خلق الإنسان فاعتبر به، فأوّل ذلك مـا يدبّر به الجنين في الرحـم وهو محجوب في ظلمـات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحـم وظلمة المشيمة حيـث لا حيلة عنده في طلـب غذاء ولا دفع أذى ولا استجـلاب منفعة ولا دفع مضرّة فإنّه يجري من دم الحيض ما يغذوه الماء والنبات فلا يزال ذلك غذاؤه.

حتّى إذا كمل خلقه واستحكم بدنه وقوي أديمه وبصره على ملاقاة الضياء هاج الطلق بأمّـه فأزعجـه أشدّ إزعاج وأعنفـه حتّى يولد فإذا ولد صرف ذلك الـدم الّذي كان يغذوه مـن دم أمـه إلى ثديها وانقلب الطعـم واللون إلى ضرب آخر من الغـذاء وهو أشدّ موافقة للمولـود من الدم فيوافيه في وقت حاجته إليه فحين يولـد قد تلمّظ[2] وحرّك شفتيه طلباً للرضاع...

(1) توحيد المفضل، ص16.

(2) تلمظ: أخرج لسانه ومسح به شفتيه.

الدرس الثالث

صفات اللّٰه تعالى

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى قسمي صفات الله الثبوتية والسلبية.

2- أن يذكر بعض الصفات الثبوتية ويتحدث عنها باختصار.

3- أن يذكر بعض الصفات السلبية ويتحدث عنها باختصار.

الصفات الثبوتية والسلبية

تنقسم صفات الله سبحانه وتعالى إلى قسمين: الصفات الثبوتية والصفات السلبية.

1- الصفات الثبوتية: كلّ صفة مثبتة لجمال وكمال في الموصوف، فهي صفة ثبوتية أو صفة جمال وكمال، وهي كثيرة لا تنحصر لأنّه تعالى ثابت له كلّ كمال والخلوّ من الكمال نقص وكلّ نقص منفيّ عنه تعالى.

2- الصفات السلبية: وهي كلّ صفة تنفي عنه تعالى كلّ نقص لأنّ إثبات الكمال لا يكون إلا بنفي النقص، كما لا يتمّ إثبات الحقّ إلّا بنفي الباطل، وتسمّى هذه الصفات بصفات الجلال أيضاً.

والصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: الصفات الذاتية والصفات الفعلية.

1- الصفات الذاتية: فهي كلّ صفة منتزعة من نفس الذات كالعلم والحياة والقدرة.

2- والصفات الفعلية: هي كلّ صفة منتزعة من فعلة نوع علاقة وارتباط بين الذات الإلهية والمخلوقات كالخالقية، والربوبية.

ونقصر الكلام هنا حول الصفات الثبوتية والسلبية حيث نذكر بعضاً من هذه الصفات وبعض الآيات الدالّة عليها.

الصفات الثبوتية

وهي عديدة نذكر منها:

1- العلـم: بمعنى أنّ اللّه تعالـى عليم حكيم فهو الخالق لكلّ شـيء وخلقه على وجه الحكمـة والإتقان ولا يمكن أن يصدر هذا الإتقان إلا عن عالمٍ حكيمٍ وعلمه واسع شاملٌ لكلّ شيء.

يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[1] ويقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[2].

ويقول أيضاً: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ ...﴾[3].

ويقول تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[4].

ويقول تعالـى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[5].

ويقـول تعالـى: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾[6].

وممّـا قدّمنا من الآيات نقف على حقيقة سعة علم اللّه تعالى، فهو عليم بكلّ شيء لا يخفـى عليه شيء، عالم بالغيـب والشهادة، بما مضى وما يأتي، بالسرِّ وأخفى، وبكلّ جزئيات هذا الكون.

(1) سورة البقرة، الآية: 282.
(2) سورة النساء، الآية: 12.
(3) سورة ق، الآية: 16.
(4) سورة النور، الآية: 18.
(5) سورة الأنعام، الآية: 18.
(6) سورة آل عمران، الآية: 29.

ويقول تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1].

هذه الآية المباركة تتحدّث عن علمه تعالى، فالذي خلق القلوب يعلم ما تكنّ فيها من أسرار، والذي خلق عباده لا يجهل أسرارهم، والذي خلق عالم الوجود جميعاً عارف ومطّلع على جميع أسراره، لأنّ المخلوقات تكون دائماً تحت رعاية خالقها وأنه أعرف شيء بها، فإدراك هذه العلاقة القائمة بين الخالق والمخلوق هو أفضل دليل على علم الخالق بالمخلوقات في كلّ زمان ومكان.

وإلى ذلك يشير أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا يعزب عنه عدد قطر السماء، ولا نجومها ولا سوافي الريح في الهواء، ولا دبيب النمل على الصّفا، ولا مقيل الذَّر في الليلة الظلماء، يعلم مساقط الأوراق، وخفيَّ الأحداق**»[2].

وقال عليه السلام: «**قد علم السرائر، وخبر الضمائر، له الإحاطة بكلّ شيء**»[3].

وقد وصف نفسه في الكتاب الكريم بالسميع البصير فقد جاء ذكر السميع ٤١ مرّة وذكر البصير ٤٢ مرّة، ولكنّ سمعه وبصره سبحانه وتعالى ليسا بجارحة أو عضو يسمع ويرى بهما لأنّه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ بل ترجع هاتان الصفتان إلى العلم، فإنّه تعالى عالم بالمسموعات والمبصرات. ووصف تعالى بهما نفسه ليوقف الناس على أنّه تعالى يعلم ما يفعلونه يسمعهم ويراهم ويراقبهم في السِّر والخفاء وسيحاسبهم على كلّ ما يفعلونه.

يقول تعالى: ﴿أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4] ويقول سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[5] ويقول

(1) سورة الملك، الآية: 14.
(2) نهج البلاغة، السيد الرضي، خطبة 178.
(3) م.ن، خطبة 86.
(4) سورة البقرة، الآية: 224.
(5) سورة البقرة، الآية: 244.

تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1] ويقول جلّ وعلا: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[2].

2- القـدرة: من صفاته سبحانـه وتعالى وتعني أنّه قادر وأنّ قدرتـه عامّة لكلّ شيء وهـو تعالى مختار في فعله إن شاء فعل وإن شـاء ترك، ففعله تعالى يكون بإرادته واختياره. وهذا الكون شاهد على عظيم قدرته.

يقـول تعالـى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾[3] ويقول سبحانه: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾[4] ويقـول أيضـاً: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[5].

فهـو خالق هذا الكون بما فيه مـن الكواكب والمجرّات والسمـاوات والأرض مع هذه الدقّة العظيمة والرائعة في الخلق وفي النظام المتناهي والتناسق، وكذلك خلق الإنسـان وتطوّره وتكامله ونشأته، من خلـق إلى خلق: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[6].

والله تعالـى لعن اليهـود في كتابه لأنّهم قالوا بعدم قدرتـه تعالى وأنّ يده مغلولة، قـال تعالـى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[7].

3- الحيـاة: فهو تعالـى الحيّ القديم الأزليّ الأبديّ السرمـديّ ليس مسبوقاً بعلّة ولا يعتريه عدم وفناء، بل هو الأوّل بلا أوّل كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده.

(1) سورة الحديد، الآية: 4.
(2) سورة المجادلة، الآية: 1.
(3) سورة الأحزاب، الآية: 27.
(4) سورة الكهف، الآية: 45.
(5) سورة فاطر، الآية: 44.
(6) سورة المؤمنون، الآية: 14.
(7) سورة المائدة، الآية: 64.

والله تعالى حيّ لأنّه قادر وعالم وكلّ من هو كذلك فإنّه حيّ. وعندما تنتفي القدرة والعلـم لا تعود هناك حياة. وقد أثبتنـا أنّ الله تعالى قادر وعالم فيثبت بذلك أنّه حيّ، يقول تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[1].

ويقول الحيّ القيّوم: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[2].

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

الصفات السلبية

وهي عديدة نذكر منها:

1- أنّه تعالى ليس بمركّب: وإلّا لو كان تعالى مركّباً من أجزاء يكون مفتقراً إلى هذه الأجـزاء ومحتاجاً إليها، ولكنّ الله تعالى واحدٌ أحدٌ، غنيٌّ غير محتاج لا إلى غير ولا إلى أجزاء.

يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾[3].

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[4].

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[5].

﴿وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[6].

2- أنّـه تعالى ليـس بجسم: وإلّا لو كان تعالى جسماً لافتقر إلى المكان. وقلنا إنّ الله تعالى غنيّ غير محتاج إلى شيء حتّى المكان والزمان. وإنّ الآيات تؤكد أنّه تعالى ليس كمثله شيء، يقول تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[7].

(1) سورة الفرقان، الآية: 58.
(2) سورة البقرة، الآية: 255.
(3) سورة البقرة، الآية: 263.
(4) سورة البقرة، الآية: 267.
(5) سورة آل عمران، الآية: 97.
(6) سورة التغابن، الآية: 6.
(7) سورة الشورى، الآية: 11.

3- أنّــه تعالى لا يُرى بالأبصــار: يستحيل عليه تعالى الرؤيــة البصرية لأنه من يُرى بالبصر لا بدّ أن يكون موجوداً في جهة ومكان فيكون جسماً ونحن نفينا عنه تعالى الجسمية وكونه محتاجاً إلى شيء.

يقول تعالى حينما سأله موسى عليه السلام الرؤية ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾[1].

ويقــول تعالــى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[2].

ورد في كتاب التوحيد عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام حينما سأله رجل يُدعى ذعُلب: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربَّك؟ قال عليه السلام: «**ويلك يا ذعُلب لـم أكـن بالذي أعبد ربًّا لم أره**»، فقال كيف رأيته؟ صفه لنا، قال عليه السلام: «**ويلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان**»[3].

4- ليــس بمحتــاج: من صفاته تعالــى أنه غنيّ وليــس بمحتاج إلى غيــره لا في ذاته ولا فــي صفاته لأنّه لــو كان محتاجاً إلى غير لم يعد واجباً بــل أصبح ممكناً، وقد ذكرنا الآيات الّتي تتحدّث عن غناه تعالى في الصفة الأولى الّتي فيها ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[5].

يقــول تعالى في قصّــة النبيّ إبراهيــم عليه السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا

(1) سورة الأعراف، الآية: 143.
(2) سورة الأنعام، الآية: 103.
(3) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج 1، ص 225.
(4) سورة البقرة، الآية: 263.
(5) سورة آل عمران، الآية: 97.

رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]. هناك تفاسير عديدة لما استدلّ به النبيّ إبراهيم عليه السلام منها: لمّا كان الهدف من اتّخاذ الربّ وصول المخلوق إلى الكمال المطلوب، لذلك ينبغي أن يكون هذا الربّ قريباً من مربوبيه عالماً بأحوالهم مطّلعاً على احتياجاتهم، أمّا ذلك الموجود الّذي يختفي في بعض الأوقات ويأفل ويغيب، فهو حتماً ناقص محتاج إلى من يظهره فالأفول والغروب يدلّان على الفقر والاحتياج.

هذه بعض الصفات الثبوتية والسلبية لأنّه كما قلنا لا يمكن إحصاؤها لأنّ القاعدة تقول إنّ كلّ صفة تثبت لله تعالى الكمال والجمال هي صفة ثبوتية وكل صفة تنفي عن الله تعالى نقصاً وحاجة هي صفة سلبية وجلالية.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[2].

(1) سورة الأنعام، الآيات: 75-79.

(2) سورة الرحمن، الآية: 27.

خلاصة الدرس

1- صفات الله سبحانه وتعالى تنقسم إلى قسمين: الصفات الثبوتية والصفات السلبية.

2- الصفات الثبوتية: هي كلّ صفة مثبتة لجمال وكمال في الموصوف.

3- الصفات السلبية: هي كلّ صفة تنفي عن الموصوف كلّ نقص.

4- الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: الصفات الذاتية والصفات الفعلية.

5- من الصفات الثبوتية: العلم، القدرة، الحياة، الإرادة.

6- من الصفات السلبية: أنّه تعالى ليس بمركّب، ليس بجسم، لا يُرى بالأبصار، ليس بمحتاج.

أسئلة

1- إلى كم قسماً تنقسم صفات الله تعالى؟

2- ما هو الفرق بين الصفات الثبوتية والصفات السلبية؟

3- ما هو الفرق بين الصفات الفعلية والصفات الذاتية؟

4- عدّد بعض الصفات الثبوتية وبعض الصفات السلبية.

5- كيف استدلّ النبيّ إبراهيم عليه السلام على وجود مسخِّر لهذا الكون؟

دانيال والسبع الضاري في قعر البئر

ورد فـي كتـاب حياة القلوب أنّه عندمـا أراد «**بخت نصّر**» أن يعـذب دانيال بأشدّ العذاب أمر أن يضعوا لبوة (أنثى الأسد) في قعر بئر عميقة وبعد ذلك أنزلوا دانيال في البئر.

الإنسان العاديّ قد يتجمّد من الخوف في تلك اللحظة وقد يموت من الخوف، أمّا دانيـال فقـد كان يعلم بأنّ القدرة الّتي عند اللبوة هي من اللّه، فلو كانت معها مشيئة اللّه فسوف تأكله وإلّا فلا.

وقـد ذكر في الرواية أنّ أنثى الأسد كانت تأكل التراب وكان دانيال ينتفع بحليبها كـي لا يمـوت، لكنّ الّذي نقلـه المجلسيّ في حياة القلوب هـو أنّ اللّه سبحانه وتعالى أوحى إلى نبيّ في ذلك الزمان أن ينقل الطعام إلى دانيال، وعندما وصل إليه الطعام قال: «الحمد للّه الّذي لا ينسى من ذكره».

علـى كلّ حـال فنتيجة فهم التوحيـد هو أن يحصل لديه توحيـد في مقام الخوف والرجـاء، فمـمّ يكـون خوفه؟ من ذلـك الّذي هو مصـدر القدرة، فـإذا صار كذلك فسـوف لا يخـاف من الفقر أيضـاً، لأنّ القادر المطلـق إذا أراد أن يسدّ حاجته فإنّه يستطيع ذلك سواء بالمال أم بغير المال[1].

(1) التوحيد والعدل، السيد دستغيب، ص164.

الدرس الرابع

العدل

أهداف الدرس

1- أن يتعرَّف الطالب إلى معنى العدل ومنزلته.

2- أن يذكر دواعي الظلم المنتفية عن الله تعالى.

3- أن يبيّن معالم عدالة الله تعالى.

المقدمة

العـدل صفة من صفـات الله تعالى الثبوتيـة، ولكن أفرد ببحـث مستقلّ لأهميته وكثـرة متعلّقاتـه وإن كان كصفة ليس بأهم من العلم والقدرة والحياة. ويقابل العدل الظلم؛ فالله تعالى عادل غير ظالم لمخلوقاته لا يفعل قبيحاً ولا يجور في قضائه ولا يحيف في حكمه وابتلائه لعباده، يثيب المطيعين وله أن يعاقب العاصين ولا يعاقبهم زيـادة على مـا يستحقون، يقول أميـر المؤمنيـن عليه السلام: «**التوحيـد أن لا تتوهّمه، والعدل أن لا تتّهمه**»[1].

معنى العدل

ذكـروا أن العـدل هو إعطـاء كلّ ذي حق حقّه، يقـول تعالى: ﴿فَمَن يَعْـمَلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَـرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْـمَلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ شَـرًّا يَـرَهُۥ﴾[2]، أو هـو وضـع الأمور في مواضعها، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**العدل يضع الأمور مواضعها**»[3].

الأمر بالعدل

إنّ الله سبحانـه وتعالـى قـد أمر عباده بالعـدل في آيات عديـدة. والعدل هو من الصفـات الحميـدة والكمالية، والعقلاء يقبّحون من يتـرك العدل ويظلم النـاس، ولا

(1) نهج البلاغة، السيّد الرضي، حكمة 470.
(2) سورة الزلزلة، الآيتان: 7 ـ 8.
(3) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج 75، ص 350.

يمكـن لله عـزَّ وجـلَّ إلّا أن يتّصـف بهذه الصفة لأنّهـا صفة كمال. كمـا أنّه لا يمكن أن يأمـر النـاس بهذه الصفـة الكمالية ولا يكون عنده هذا الكمـال، مع أنّه تعالى هو الحاوي لكلّ صفات الكمال على النحو الأتمّ والأكمل.

يقـول تعالـى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾[2].

دواعي الظلم

الظلم ضدّ العـدل. وللظلم دواعٍ ثلاثة إذا انتفت هذه الدواعي انتفى الظلم وثبت العدل وهي:

1- الجهـل: من دواعي الظلم الجهـل بالظلم والعدل، فإنّ القوانيـن الوضعية الّتي وضعهـا الفكر البشريّ تحتوي على كثيـر من الظلم لأنّها نابعة من الفكر البشريّ المحـدود. ولو كان هـذا العقل البشـريّ عالماً ومـدركاً لكلّ التفاصيـل والنتائج لانتفـى كثير من أسباب الظلم، في حين أنّ الله تعالى عالم حكيم كما تقدّم معنا في الصفات. يقول تعالـى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ﴾[3] ويقول تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾[4] ويقـول تعالى: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[5].

1. الخـوف: أحيانـاً يؤدّي الخوف إلى الظلم سواء كان الخوف من الآخر على سلطة

(1) سورة النساء، الآية: 58.
(2) سورة النحل، الآية: 90.
(3) سورة النساء، الآية: 12.
(4) سورة المائدة، الآية: 97.
(5) سورة يونس، الآية: 61.

أم على مال وجاه ما يدفع بالأشخاص إلى ظلم الآخرين للحفاظ على أوضاعهم ومراكزهم وغير ذلك. وهذا السبب يستحيل أن يكون في الله تعالى لأنّه هو القويّ العزيز مالك الملك غلبت جبروته كلّ شيء وقدرته غير متناهية، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1] ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

2. الحاجة والحرمان: الإنسان المحتاج الّذي ييأس من تحصيل مطالبه بالطرق المشروعة فإنّه قد يلجأ إلى طرق أخرى يظلم فيها نفسه بالمعصية ويظلم الآخرين بسلب بعض حقوقهم والاعتداء عليهم. وهذا لا يمكن أن يكون في ساحة الله عزَّ وجلَّ لأنّه الغنيّ المطلق الذي عنده خزائن السماوات والأرض. يقول تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4].

وهذا لا يختصّ بالحاجة والحرمان الماديّ بل يشمل الحاجة والحرمان النفسيّ أيضاً كعقدة النقص...

معالم عدالة الله تعالى

إنّ عدالة الله تعالى تعني:

1. أنّ جميع أفعاله تعالى حكيمة: وليس فيها ظلم ولا جور ولا كذب ولا عيب لأنّه تعالى منزَّه عن هذه القبائح لعلمه تعالى بها وقدرته اللامتناهية.
2. أفعاله تعالى معلَّلة بالأغراض والمصالح: لأنّه حكيم، والحكيم لا يصدر عنه العبث، والعبث من فعل الضعيف، يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾[5].

(1) سورة المجادلة، الآية: 21.
(2) سورة البقرة، الآية: 259.
(3) سورة البقرة، الآية: 267.
(4) سورة العنكبوت، الآية: 6.
(5) سورة الأنبياء، الآية: 16.

3. أنّه تعالى لا يكلّف أحداً فوق طاقته: قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1].

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[2] ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[3].

4. أنّه تعالى لا يُضلّ أحداً من عباده: بل هداهم وهم أضلّوا أنفسهم.

حيث يقول تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[4].

أو أنّهم أطاعوا كبراءهم ورؤساءهم فأضلّوهم عن طريق الحقّ وأخذوا بهم إلى طريق الباطل، يقول تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا﴾[5].

5. أنّه تعالى يعامل عباده معاملة الممتحن: أي يبلوهم ليمتحنهم ويثيبهم ويعاقبهم على أساس الاختبار، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[6].

الظلم في القرآن الكريم

1. لا يظلم أحداً:

قلنا إنّ الظلم يقابل العدل. وإذا نفينا الظلم عن ساحته المقدّسة نكون قد أثبتنا العدل. وهذا ما فعلناه عندما نفينا دواعي الظلم عنه تعالى ولكن الآن ننفي عنه الظلم تعالى من خلال القرآن الكريم، حيث وردت آيات كثيرة جداً تنفي عنه تعالى الظلم وتتوعّد الظالمين بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[7].

(1) سورة البقرة، الآية: 286.
(2) سورة البقرة، الآية: 185.
(3) سورة الحج، الآية: 78.
(4) سورة النحل، الآية: 118.
(5) سورة الأحزاب، الآية: 67.
(6) سورة الملك، الآية: 2.
(7) سورة النساء، الآية: 4.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1].

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[2].

2- الظلم من النفس:

آيات كثيرة من القرآن الكريم تسند الظلم إلى نفس الإنسان لأنّه أعمى بصره عن الحقّ وتجاوز حدود الله تعالى فكان ظالماً لنفسه أولاً ثمّ للآخرين.

يقول تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾[3].

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[4].

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[5].

3- ذمّ الظالمين:

إنّ الله تعالى ذمَّ الظالمين في آيات كثيرة وأوعدهم بأليم العقاب، والله تعالى منزَّه عمَّا ذمَّ به خلقه.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[6].

﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾[7].

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾[8].

﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾[9].

(1) سورة فصلت، الآية: 46.
(2) سورة الزلزلة، الآيتان: 7 ـ 8.
(3) سورة الطلاق، الآية: 1.
(4) سورة آل عمران، الآية: 117.
(5) سورة الزخرف، الآية: 76.
(6) سورة إبراهيم، الآية: 42.
(7) سورة سبأ، الآية: 31.
(8) سورة الفرقان، الآية: 27.
(9) سورة الشورى، الآية: 45.

4- إبليس والظالمون:

يحدّثنا القرآن الكريم عن موقف إبليس مع الظالمين يوم القيامة وكيف يتبرّأ منهم ويكفر بما أشركوا فيه وذلك بعدما أغواهم ووعدهم وركنوا إليه فأخلفهم وتركهم يواجهون مصيرهم المحتوم بعد أن تركوا الله سبحانه وتعالى الّذي يدعوهم لما يحييهم كما يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾[1].

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾[2].

ويقول تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[3].

(1) سورة الأنفال، الآية: 27.
(2) سورة البقرة، الآية: 268.
(3) سورة إبراهيم، الآية: 22.

خلاصة الدرس

1- العدل من الصفات الثبوتية لله تعالى ولكن أُفرد ببحث مستقلّ لأهمّيته وكثرة متعلّقاته.

2- العدل هو إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، يقول تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

3- الظلم ضدّ العدل. ودواعي الظلم ثلاثة: «**الجهل، الخوف، الحاجة والحرمان**». وهي أمور يستحيل أن تكون في الله تعالى لأنّه كما أثبتنا في الصفات «**عالم حكيم وقادر على كلّ شيء وغنيّ عن العالمين**».

4- عدالة الله تعني أنّ جميع أفعاله حكيمة ومعلّلة بالأغراض ولا يكلّف أحداً فوق طاقته.

أسئلة

1- ما معنى العدل؟

2- ما معنى أنّ الله تعالى عادل؟

3- عدّد دواعي الظلم.

4- ماذا يعني أنّ أفعاله تعالى حكمة وصواب؟

5- ما هو موقف إبليس من الظالمين يوم القيامة؟

بهلول وأبو حنيفة

سمع بهلول أبا حنيفة يقول: إنّ جعفر بن محمّد يقول بثلاثة أشياء لا أرتضيها، يقول: الشيطان يعذّب بالنار. كيف وهو من النار؟ ويقول: إنّ الله لا يُرى ولا تصحّ عليه الرؤية، وكيف لا تصحّ الرؤية على موجود؟ ويقول: إنّ العبد هو الفاعل لفعله، والنصوص بخلافه. فأخذ البهلول حجراً وضربه به، فأوجعه، فذهب أبو حنيفة إلى هارون واستحضروا البهلول ووبّخوه على ذلك. فقال لأبي حنيفة: أرني الوجع الّذي تدّعيه وإلّا فأنت كاذب. وأيضاً فأنت من تراب كيف تألّمت من تراب؟ ثمّ ما الّذي أذنبته إليك والفاعل ليس هو العبد، بل الله؟ فسكت أبو حنيفة وقام خجلاً.

الدرس الخامس

الجبر والاختيار

أهداف الدرس

1- أن يبيّن الطالب معنى الجبر والاختيار.

2- أن يشرح عقيدة الشيعة في الأمر بين الأمرين ويرد على عقيدة الجبر.

3- أن يبيّن تأثير السياسة في عقيدة الجبر.

المقدّمة

قـد مرّ فـي الدرس السابق (العـدل) عند الحديث عن معالـم عدالة الله تعالى، أنّـه جـلَّ وعلا لا يُضلّ أحداً مـن عباده، ولا يعاقبهم على مـا لا اختيار لهم فيه. هذه المقـولات البديهية خالفهـا جماعة من المسلمين وجوّزوا علـى الله تعالى ما لا يليق بعدلـه وعظمته، حيث وقع الكلام هـل أنّ الإنسان مجبر على أفعاله أي ليس له إرادة واختيار وأنّ كلّ فعل يصدر عنه بغير إرادته واختياره وإنّما هو كالآلة تحرّكه قوّة أكبر منـه، أم أنّ الإنسان هـو مريد ومختار يفعل بمحض إرادتـه واختياره ولا يجبره أحد على فعله؟

من هنا احتاج الأمر إلى إفراد بحث عن الجبر والاختيار لكي يتوضّح الأمر أكثر.

الجبر عند المشركين

تنصّ الآيات القرآنية علـى أنّ المشركين كانوا معتقدين بالجبر وسلب الاختيار، وإليكم فيما يلي ما ذكره القرآن في هذا المجال:

1. يقول تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ﴾[1].

(1) سورة الأنعام، الآية: 148.

ولكن الذكر الحكيم يردّ عليهم تلك المزعمة بقوله:

﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[1].

2. ويقـول تعالى في آية أخـرى حاكياً كلام المشركين في تعليـل ارتكابهم الفحشاء بأمر من الله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

3. ويقول تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[3].

فهـذه الآيات وغيرها من الآيات تبيّن لنا موقـف المشركين من الجبر الإنسانيّ، المرفوض بصراحة في القرآن الكريم.

الاعتقاد بالجبر عند بعض المسلمين

المؤسف أنّ بعض المسلمين وقعوا في شبهة الجبر الّتي وقع فيها المشركون نظراً إلى التفسير الخاطئ لبعض الآيات الكريمة الّتي تسند الخلق والفعل لله تعالى، حيث اعتبروا أنّ الله تعالى هو الّذي يفعل كلّ الأفعال من دون اختيار وإرادة للإنسان، وكأنّ الإنسـان فقـط آلة تتحرّك كيف يشاء الله تعالى متذرّعيـن بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[4] ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾[5] ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[6].

(1) سورة الأنعام، الآية: 148.
(2) سورة الأعراف، الآية: 28.
(3) سورة الزخرف، الآية: 20.
(4) سورة الزمر، الآية: 62.
(5) سورة فاطر، الآية: 3.
(6) سورة الصافات، الآية: 96.

الردّ على عقيدة الجبر

ولكـنّ هؤلاء لو أمعنوا النظر في كتاب الله عـزَّ وجلَّ لوجدوا آيات كثيرة تدلّ على إسنـاد الفعـل إلى العباد ما يدلّ على أنّ الإنسان مختـار ومريد لأفعاله، يقول تعالى:

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾[1].

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾[2].

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[3].

هـذه الآيات الكريمة وغيرها الكثير واضحة فـي إسناد الأفعال إلى نفس الإنسان حيـث إنّهم يكتبون بإرادتهـم واختيارهم ويتبعون الظن وأهـواء أنفسهم وأنّ التغيير منـوط بإرادتهم. وتوجـد آيات كثيرة تدلّ علـى ذلك حتّى أنّـه - وللأسف - ظهرت فرق من المسلمين تقول إنّ الإنسان يفعل بإرادته واستقلاله من دون تعلّق لإرادة الله تعالى في أفعاله أي أنّ الله فوَّض للإنسان أفعاله على نحو الاستقلال من دون تدخّل للقدرة الإلهية في شيء من أفعاله.

وبالطبـع فإنّ هذه العقيدة أعظم بطلاناً من الأولى لأنّها تجعل الإنسان خالقاً في قبال الله سبحانه وتعالى وكأنّه شريك لله في خلق الأفعال والله تعالى يقول في كتابه:

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[4].

عقيدة الشيعة في الأمر بين الأمرين

ذهب الشيعة في عقيدتهم إلى الأمر بين الأمرين كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «**لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين. سئل عليه السلام: ما الأمر بين الأمرين؟ قال** عليه السلام:

(1) سورة البقرة، الآية: 79.
(2) سورة النجم، الآية: 23.
(3) سورة الرعد، الآية: 11.
(4) سورة التكوير، الآية: 29.

مثل ذلك رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته، ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الّذي أمرته بالمعصية»[1].

وقال البصريّ لأبي عبد الله عليه السلام: الناس مجبورون؟ قال عليه السلام: «**لو كانوا مجبورين لكانوا معذورين**»، قال: ففوض إليهم؟

قال عليه السلام: «لا، قال: فما هم؟ **قال: علم منهم فعلاً فأوجد فيهم آلة الفعل، فإذا فعلوا كانوا مع الفعل مستطيعين**»[2].

تبيَّن أنّ عقيدة الشيعة هي لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين، فإنّ الله تعالى خلق السبيل وخلق الإنسان وأعطاه القدرة والاختيار وكلّ ذلك متعلّق بقدرة الله واختياره أيضاً ولكن يختار الله لنا ما نختاره لأنفسنا قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[3] ولذلك صحّت المحاسبة.

يقول تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[4].

ويقول تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[5].

ويقول تعالى حاكياً قول الشيطان الرجيم: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾[6].

وكذلك صحّ الثواب والعقاب، يقول تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[7].

(1) الاعتقاد، الشيخ المفيد، ص 30.
(2) تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي، ج 1، ص 227.
(3) سورة الإنسان، الآية: 3.
(4) سورة النساء، الآية: 123.
(5) سورة الطور، الآية: 21.
(6) سورة إبراهيم، الآية: 22.
(7) سورة الأنعام، الآية: 160.

ويقول تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[2].

وأيضاً ممّا يدلّ على ذلك الآيات الّتي تعلّق أفعال العباد على مشيئتهم كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[3] ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾[4].

وممّا يؤيّد ذلك أيضاً الآيات الّتي تأمر الناس بالعمل، وإلّا لولا وجود الاختيار لكان الأمر عبثاً ولغواً تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

كقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[5].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[6].

عقيدة الجبر والسياسة

إنّ عقيدة الجبر الّتي ظهرت عند بعض الفرق الإسلامية إنّما وراءها غاية سياسية استغلّها الحكّام للوصول إلى مآربهم الشخصية والسلطوية وكذلك لتبرير أفعالهم وانتهاكاتهم. يقول الشهيد مطهّري رحمه الله: «**يشير التاريخ إلى أنّ مسألة القضاء والقدر كانت مستمسكاً صلباً وقوياً لحكّام بني أمية الّذين كانوا من المؤيّدين الأشدّاء لمسلك الجبر، وكانوا يقتلون المؤيّدين للاختيار والحرية البشرية بتهمة أنّهم من المعارضين للمعتقدات الدينية أو كانوا يرمونهم في السجون حتّى عرف**

(1) سورة النمل، الآية: 89.
(2) سورة النحل، الآية: 97.
(3) سورة الكهف، الآية: 29.
(4) سورة المزمل، الآية: 19.
(5) سورة آل عمران، الآية: 133.
(6) سورة التوبة، الآية: 105.

في ذلك الوقت أنّ الجبر والتشبيه أمويان والعدل والتوحيد علويان»[1].

ويقول أبو هلال العسكريّ: «**إنّ معاوية أوّل من زعم أنّ الله يريد أفعال العباد كلّها**»[2].

ويقـول ابن قتيبة: «**وإنّ أمر يزيد قـد كان قضاء من القضاء وليس للعباد خيرة من أمرهم**»[3]. وجرى على هذه السياسة سائر الخلفاء الأمويين وتبعهم العباسيون. والسرّ في انتهاج هذه السياسة هو:

1. سلب إرادة واختيار الناس وإجبارهم على الانصياع للسلطة.
2. إظهار إرادة الحكّام الظالمين على أنها إرادة الله تعالى ليبرّروا ظلمهم وجرائمهم أمام الناس وساعدهم على ذلك علماء السوء ووعّاظ السلاطين.

(1) دروس في العقيدة الإسلامية، الشيخ الري شهري، ص143.
(2) الإلهيات، الشيخ السبحاني، ج1، ص510.
(3) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، ج1، ص171.

خلاصة الدرس

1. تنصّ الآيات القرآنية على أنّ المشركين كانوا معتقدين بالجبر وسلب الاختيار، وردَّ القرآن الكريم على مزاعمهم، يقول تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ﴾ ويقول تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾.
2. المؤسف أنّ بعض المسلمين وقعوا في شبهة الجبر الّتي وقع فيها المشركون نظراً إلى التفسير الخاطئ لبعض الآيات الكريمة الّتي تسند الخلق والفعل إلى الله تعالى.
3. هؤلاء المسلمون لو أمعنوا النظر في كتاب الله تعالى لوجدوا آيات كثيرة تدلّ على إسناد الفعل إلى العباد أيضاً.
4. ذهب الشيعة في عقيدتهم إلى الأمر بين الأمرين أي لا جبر ولا تفويض بلا أمر بينهما.
5. عقيدة الجبر التي ظهرت عند بعض الفرق الإسلامية إنما وراءها غايات سياسية لتبرير ظلم الحكام وانتهاكاتهم للشريعة والدين.

أسئلة

1- ما معنى أن الإنسان مجبر على أفعاله؟
2- لماذا وقع بعض المسلمين في شبهة الجبر؟
3- ما هي عقيدة الشيعة في الجبر والتفويض؟
4- اذكر بعض الآيات الّتي تدلّ على اختيار الإنسان.
5- اذكر العلاقة بين عقيدة الجبر والسياسة.

التكليف بأقلّ من الطاقة

لـو صلّـى جميع البشـر وصاموا لمـا زادوا في ملـك الله شيئاً، ولو أنّهـم ارتكبوا المعاصي بأجمعهم لما نقضوا من ملك الله شيئاً، فكلّ نفع أو ضرر يعود على الإنسان نفسه.

ومع أنّ الأمر والنهي من أجل مصلحة الإنسان إلا أنّه قد روعي فيهما جانب العدل أي أنّهما بمقدار قدرة الإنسان وطاقته بل أقلّ من ذلك. ونقرأ في دعاء العديلة.

(لـم يكلّـف الطاعة إلّا دون الوسع والطاقة). فمـع أنّ الإنسان قادر على أكثر من هـذا إلا أنّ التكاليـف وردت بأقـلّ من ذلك. وكمثال على ذلـك لاحظوا هذه الصلاة اليوميـة وهـي سبع عشرة ركعة فمـا أسهلها على الإنسان وبإمكانـه أن يطيل فيها أو يختصرهـا، فلو أنّ الله تبارك وتعالـى أوجب عليه مائة ركعة لكان قادراً على الإتيان بها إلا أنّ لطف الله اقتضى أن تكون التكاليف سهلة وخفيفة كمّاً وكيفاً.

وقـد ورد فـي الروايات أنّ الإمام عليه السلام نهى عن نـذر تكاليف بأن يوجب الإنسان على نفسه صلاة بواسطة النذر لأنّه قد صعّب على نفسه ما سهّله الله له.

لقد جعل الله تعالى صلاة الليل مستحبّة حتّى لا يشقّ ذلك على أحد مع أنّ الفائدة منهـا كبيرة جداً؛ فـكلّ إنسان يصل إلى أيّ مقام معنويّ فهو ببركة صلاة الليل، وفي بدايـة الإسـلام كان من الواجبات أن يقضي المسلم قسمـاً من الليل بالعبادة، ولكنّ الله عـزَّ وجلَّ سهّله بعد ذلك للمشقّة والعسـر على بعض الناس كالمريض والمسافر ورفع ذلك الوجوب ليكون سهلاً على الجميع.

إذن فقد روعي في التكاليف جانب العدل.

(التوحيد والعدل للشهيد دستغيب، ص٩٤).

الدرس السادس

فلسفة الشرور والآفّات

أهداف الدرس

1- أن يذكر الطالب المعيار الحقيقيّ للخير والشر.

2- أن يبيّن إلى فلسفة المصائب للكافرين والمؤمنين معاً.

المقدّمة

مـن المسائل المتعلّقة بمبحث العـدل مسألة (الشرور والآفّات) والتي كانت محلّ تسـاؤل منذ القدم، وهي أنّه تعالى إذا كان عـادلاً لا يظلم مثقال ذرّة، فلماذا وُجدت البـلاءات والمصائب والآفات الّتـي ظاهرها الشَّر في العالـم؟ لماذا الاختلاف في الخلـق، شخص جميل وآخـر قبيح أو طويـل وقصير وبعض الناس فقـراء وبعضهم أغنياء وغير ذلك مما يتراءى لنا أنه نقص وعيب وشرٌّ وما إلى ذلك؟

ونجيب عن هذه المسائل بذكر الآيات الّتي تبيّن فلسفة الشرور والآفات:

توهّم الشرّ والخير

الإنسـان باعتبار ضعفه وجهله قد يتوهّم ما غايته خير شراً وما نهايته شر خيراً، فينظر إلى ظواهر الأمور وبداياتها ولا ينظر إلى عمقها ونهاياتها. وهذا ما يشير إليه قوله تعالـى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

فمـا يراه الإنسان أو ما يشعر به ليس هو دائمـاً المعيار الحقيقيّ لفهم المصلحة الحقيقيـة للفـرد والمجتمـع، فربّ شـيء نحبّه وفيه شـرّ كثير على صعيـد الفرد أو المجتمـع أو الأمة، وكذلـك ربّ شيء نكرهه وفيه المصلحة الكبـرى للفرد أو الأمة.

(1) سورة البقرة، الآية: 216.

واللّه تعالـى هو المحيط بخفايا الأمور، ولا يستطيع البشر مهما بلغ وعيهم وفطنتهم إلّا أن يفهموا جانباً من تلك الخفايا والمصالح البعيدة في الأحكام. فعلى المؤمن أن يعتقد أنّ كلّ الأحكام الصادرة عن اللّه تعالى هي لصالحه، تشريعية كانت كالصلاة والصـوم والجهـاد والـزكاة، أم تكوينية كالمـوت والبلاءات والاختـلاف في الخلقة والألوان. ويجب أن يصل إلى مرحلة التسليم للّه تعالى حيث يقول: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[1]، لأنّ ما توصّل إليه الإنسان من العلـوم والاكتشافـات لأسرار هذا الكون إنّمـا هو النزر اليسير، يقـول تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[2].

ويؤكّد القرآن الكريم هذه المسألة في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾[3].

فـإنّ الكثير من الآلام هي فـي واقعها خير والإنسان أخطـأ عندما اعتبرها شراً، فملاك وحقيقة الخيرية وعدمها ليسا بموافقتهما للرغبات.

وذكـر القـرآن الكريم صـورة أخـرى معاكسة وهـي أنّ الشيء قد يكـون بالنظر السطحـيّ خيـراً ولكنّه في الواقع شرّ وبلاء وفتنة وسبب لسـوء العاقبة، يقول تعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ ﴾[4].

ويقـول تعالـى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾[5].

(1) سورة النساء، الآية: 65.
(2) سورة الإسراء، الآية: 85.
(3) سورة آل عمران، الآية: 157.
(4) سورة آل عمران، الآية: 180.
(5) سورة آل عمران، الآية: 178.

المصائب والابتلاءات

1. أساس المصائب:

إنَّ المصائب الفردية والاجتماعية الّتي تصيب البشر هي وليدة سوء الاستفادة من الحرية والاختيار، يقول تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾[1]. ويقول تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ﴾[2].

ولو اتّبع أهل الدنيا القوانين الإلهية لاختزلوا في حياتهم كثيراً من الآلام والبلاءات لذلك يقول تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾[3].

فاستفادة الإنسان من حريته بشكل سيِّئ نتيجتها الحتمية ستكون سيئة بالنسبة له أيضاً.

يقول تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾[4].

2. مصائب الكافرين:

هذا النوع من المصائب يعتبر في نظر القرآن الكريم عقاباً على كفر الناس وفسادهم وانحرافهم كالطوفان الّذي أخذ قوم نوح، والتيه الّذي وقع فيه بنو إسرائيل عندما اتّخذوا العجل إلهاً، أو العذاب الّذي أصاب قوم إبراهيم ولوط، وكذلك عذاب عاد وثمود وقارون وفرعون وهامان وغيرهم.

(1) سورة الشورى، الآية: 30.
(2) سورة النساء، الآية: 79.
(3) سورة الأعراف، الآية: 96.
(4) سورة الشورى، الآية: 30.

يقـول تعالـى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

وجـزاء الله سبحانه وتعالـى وعقابه قد يكون عاجلاً وقد يكـون آجلاً، وجعل لكلّ أمّـة موعداً. يقـول تعالـى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾[2]. والله تعالـى يستدرجهـم ويمهلهـم ليـزدادوا إثماً حيث يقـول تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[3]. ولكنّ فرحهم لن يدوم طويلاً وسيأتيهم العذاب بغتة لتبقى الحسرة في قلوبهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾[4].

ابتلاء المؤمنين

1. البلاء هو امتحان واختبار:

الدنيا هي دار ممرّ وامتحان وبلاء. والله تعالى يختبر فيها الناس بالخير وبالشرّ ليجزي الصابرين والعاملين، يقول تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[5]، ويقول تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[6].

وفـي حديث: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام مرض، فعاده قوم فقالوا: كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟

قال عليه السلام: «**أصبحت بشرّ**».

قالوا: سبحان الله هذا كلام مثلك؟!

(1) سورة العنكبوت، الآية: 40.
(2) سورة الكهف، الآية: 59.
(3) سورة آل عمران، الآية: 178.
(4) سورة الأنعام، الآية: 44.
(5) سورة الأنبياء، الآية: 35.
(6) سورة العنكبوت، الآيتان: 2 ـ 3.

فقال عليه السلام: «**يقول تعالى ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾**[1] **فالخير الصحّة والغنى، والشرّ المرض والفقر ابتلاءاً واختباراً**»[2].

2. الابتلاء تأديب للمؤمن:

قد يكون ابتلاء المؤمن للتأديب والتذكّر دائماً، لما في البلاءات من العبر والمواعظ. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**ما من مؤمن إلّا وهو يذكّر في كلّ أربعين يوماً ببلاء، إمّا في ماله أو في ولده أو في نفسه فيؤجر عليه، أو همٍّ لا يدري من أين هو**»[3].

3. الابتلاء تطهير لذنوب المؤمن:

وقد يكون بلاء المؤمن تطهيراً لذنوبه، يقول الإمام الكاظم عليه السلام: «**لله في السرّاء نعمة التفضّل وفي الضرّاء نعمة التطهّر**»[4].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**السُّقم يمحو الذنوب**»[5].

ويقول أيضاً صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا أذى ولا همّ حتّى الهمّ يهمّه إلّا كفّر الله به خطاياه**»[6].

4. الابتلاء رفع للدرجات:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أشدّ الناس بلاءً الأنبياء** عليهم السلام، **ثمّ الّذين يلونهم، الأمثل فالأمثل**»[7]. هناك نوع من البلاء يكون لرفع درجة الإنسان المؤمن في الآخرة، كالذي يتعرّض له الأنبياء والأولياء. فهذا البلاء في الحقيقة هو رحمة سيجد المؤمن نتيجتها في الآخرة.

(1) سورة الأنبياء، الآية: 35.
(2) الدعوات، الرواندي، ص 168.
(3) بحار الأنوار، ج 67، ص 237.
(4) م.ن، ج78، ص165.
(5) م.ن، ج67، ص244.
(6) م.ن، ج81، ص188.
(7) م.ن، ج11، ص69.

خلاصة الدرس

1. من المسائل المرتبطة بمبحث العدل مسألة الشهر والآفات والتي كانت محل تساؤل منذ القدم.
2. الإنسان لضعفه وجهله قد يتوهّم ما غايته خير شراً وما نهايته شرّ خيراً، فينظر إلى ظواهر الأمور.
3. ما يراه الإنسان أو ما يشعر به ليس هو دائماً المعيار الحقيقيّ لفهم المصلحة الحقيقية.
4. إنّ المصائب الفردية والاجتماعية الّتي تصيب البشر هي وليدة سوء الاستفادة من الحرية والاختيار.
5. جزاء الله تعالى وعقابه قد يكون عاجلاً وقد يكون آجلاً وجعل لكلّ أمة موعداً.
6. الله تعالى يبتلي المؤمنين ليختبرهم بالخير والشرّ وليجزي الصالحين والصابرين.

أسئلة

1- لماذا يتوهّم الإنسان الخير والشرّ؟

2- ما هو المعيار الحقيقيّ للخير والشرّ؟

3- من أين تأتي أكثر المصائب الفردية والاجتماعية؟

4- لماذا يصاب الكافرون بالمصائب؟

5- لماذا يصاب المؤمنون بالمصائب والبلاءات؟

البلاء للأولياء

إنّ الله إذا خصّ عبداً من عباده بلطف منه فهو يجعله عُرضة للشدائد. والجملة المشهورة «**البلاء للولاء**» تبيّن هذا الموضوع.

وقد جاء في حديث عن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّ الله عزَّ وجلَّ ليتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالهدية من الغيبة**»[1].

وجاء في حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ الله إذا أحبّ عبداً غتّه بالبلاء غتّاً**»[2].

فكما أنّ مربّي السباحة حين يأتيه من يحب تعلّمها فهو يحمله على المحاولة وبذل الجهد ليصبح مروّضاً ومتعلّماً للسباحة، فاللّه سبحانه حين يحبّ عبداً ويريد أن يوصله إلى كماله فإنّه يغرقه في البلاء. ولو قرأ الإنسان كتاباً عن السباحة دون نزوله إلى الماء لا يمسي سباحاً، ولكنّه يتعلّم السباحة عندما يجد طريقه إلى الماء ويجرّب الصراع ضدّ الغرق وأحياناً يواجه خطر الغرق عندما يتحرّك بعيداً عن الشاطئ.

فلا بدّ أن يرى الإنسان في دنياه الشدائد حتّى يتعلّم طريق التخلّص منها، ولا بدّ أن يواجه الصعوبات حتّى ينضج ويتكامل.

وكتب بعضهم عن لون من الطيور أنّه عندما يبزغ الريش على جناح طفله الوليد ولكي يعلّمه الطيران فهو يخرجه من الوكر إلى الفضاء الطلق ويخلي سبيله هناك، فيضطّر الحيوان الصغير لحركات غير منظّمة ويضرب بجناحه حتّى يصاب بالتعب ويوشك على السقوط وعندئذ تقترب الأمّ الحنون منه وتمسك به وتحمله على ظهرها

(1) بحار الأنوار، ج 15، ص56.
(2) م. ن، ص55.

لترفـع عنه النصب. وعندما تـرى الراحة قد عادت إليه تطلقه فـي الفضاء وتجبره علـى المحاولـة حتّى يصاب بالتعـب مرّة أخـرى فتمسكه، وتكرّر هـذا العمل مرّات ومرّات حتّى يخرج الطفل وقد تعلّم الطيران.

الدرس السابع

النبوّة

أهداف الدرس

1- أن يبيّن الطالب بين الغاية من خلق الإنسان ووجود الأنبياء عليهم السلام.
2- أن يذكر فوائد بعثة الأنبياء عليهم السلام ودورهم الأساسي.
3- أن يتحدث عن صفات الأنبياء عليهم السلام وبخاصّة صفة العصمة.

الغاية من خلق الإنسان

اللّه سبحانه وتعالى عليم حكيم خلق الخلق لحكمة ومصلحة وهدف، يقول تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]. فكلّ شيء خلق لغاية، والغاية أوضحها اللّه تعالى في كتابه الكريم حيث يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3].

كما ورد في الحديث القدسيّ أيضاً «**كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف**»[4]، فالعبادة والمعرفة هما الغاية من خلق الإنسان.

والعبادة تعني الخضوع والطاعة والانقياد للخالق بما يأمر وبما ينهى. ولكن لكي تتحقّق هذه العبادة والطاعة على الوجه الصحيح والمرضيّ من قبل الخالق لا بدّ أن تكون عن معرفة ودراية وإلّا وقعت باطلة وغير صحيحة لأنّ الإنسان لا يستطيع أن يسلك الطريق الصحيح دون دليل يدلّه عليه.

(1) سورة المؤمنون، الآية: 115.
(2) سورة الدخان، الآيتان: 38 و 39.
(3) سورة الذاريات، الآية: 56.
(4) بحار الأنوار، ج84، ص199.

الأنبياء وتحقّق الغاية

إنّ تحقيق الغاية من الخلق وهي المعرفة والعبادة يتوقّف على تعيين واسطة بين الخالق وبين المخلوقين تهديهم إلى الرشاد وتعلمهم طرق العبادة والطاعة.

يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[1] وهنا يأتي دور النبوّة.

إنّ تاريخ الإنسان بنظر القرآن الكريم مترافق مع تاريخ الوحي والنبوّة؛ فلقد كان الوحي موجوداً كبرنامج تكامل للإنسان منذ ظهوره على الأرض، يقول تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[2] إلى غير ذلك من الآيات الّتي تؤكّد هذه الحقيقة.

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في هذا السياق في نهج البلاغة: «**ولم يُخلِ الله سبحانه خلقه من نبيّ مرسَل أو كتاب منزل أو حجّة بالغة أو محجّة قائمة**»[3].

الإيمان بجميع الأنبياء عليهم السلام

لا يكفي الاعتقاد بنبوّة نبيّ واحد أو بعض الأنبياء عليهم السلام بل لا بدّ من أن يعتقد الإنسان بنبوّة جميع الأنبياء لأنهم جميعاً أنبياء مرسلون من قبل الله تعالى، وكلّ نبيّ جاء مصدّقاً لكلام النبيّ الّذي قبله، يقول تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾[4].

ويقول تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ

(1) سورة الشورى، الآية: 51.
(2) سورة فاطر، الآية: 24.
(3) نهج البلاغة، السيّد الرضي، خطبة 1.
(4) سورة النساء، الآية: 163.

وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[1].

ويقـول تعالى في ذمّ أولئك الّذين يؤمنون ببعضهم فقط: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[2].

فوائد بعثة الأنبياء عليهم السلام

هنـاك فوائد كثيرة مـن بعثة الأنبياء بالإضافة إلى تعريـف النـاس وهدايتهم إلى طريق تكاملهم، أهمّها:

1. يوجـد كثير من المعارف المهمة في حياة الإنسان قد يجهلها أو يغفل عنها وهذه المعارف بيَّنها الأنبياء للناس لتذكيرهم الدائم، لذلك ورد في القرآن الكريم صفة المذكِّر والذكر والذكرى والتذكرة. يقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[3].

ويقول تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[4].

ويقول تعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾[5].

ويقـول أمير المؤمنين عليه السلام فـي نهج البلاغة: «**فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرتـه ويذكّروهم منسيّ نعمتـه، ويحتجّوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول**»[6].

(1) سورة البقرة، الآية: 136.
(2) سورة النساء، الآيتان: 150 و151.
(3) سورة الغاشية، الآية: 21.
(4) سورة الأنعام، الآية: 90.
(5) سورة طه، الآيات: 13.
(6) نهج البلاغة، السيّد الرضي، خطبة 1، ص 23.

2. إنّ وجـود النبيّ بين الناس له تأثير كبيـر في تربية الأشخاص باعتبار أنّ الأنبياء وصلوا إلى أعلى مراتب الكمال فكانوا القدوة الحقيقية ليقتدي بهم الناس ويتأسّوا بأفعالهم فيقوموا بتربية الناس وتزكيتهم روحياً.

يقول تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2].

3. من فوائـد وجود الأنبياء ممارسة القيادة السياسيـة والدينية والاجتماعية وفضّ الخلافـات والمعضـلات والاضطرابـات الاجتماعيـة بيـن الناس، يقـول تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[3].

دور الأنبياء عليهم السلام

إنّ القـرآن الكريم لم يحدّد دوراً خاصاً للأنبياء عليهم السلام بل إنّ دورهم مرتبط بكلّ ما تحتاجه الأمّة في حياتها على الصعيد الروحيّ والعلميّ وعلى الصعيد الاجتماعيّ من وضع قوانين تنظّم حياة الناس وتهديهم إلى السعادة الحقيقية والكمال الإنسانيّ، وكذلك يبينون لهم الأحكام ويحذّرونهم من الوقوع في المعاصي ومخالفة الله تعالى. وهذه بعض أدوارهم عليهم السلام الّتي وردت في القرآن الكريم:

1. التعليم:

يقـول تعـالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[4].

(1) سورة الممتحنة، الآية: 4.
(2) سورة الأحزاب، الآية: 21.
(3) سورة البقرة، الآية: 213.
(4) سورة البقرة، الآية: 151.

2. التبشير والإنذار:

يقول تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[1].

3. الدعوة لعبادة الله تعالى:

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2].

4. إخراج الناس من الظلمات إلى النور:

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ﴾[3].

5. الشهادة على أعمال العباد:

يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[4].

6. إبلاغ الرسالة للناس:

يقول تعالى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾[5].

7. الحكم بين الناس:

يقول تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾[6].

(1) سورة الأنعام، الآية: 48.
(2) سورة النحل، الآية: 36.
(3) سورة إبراهيم، الآية: 5.
(4) سورة الفتح، الآية: 8.
(5) سورة المائدة، الآية: 99.
(6) سورة البقرة، الآية: 213.

8. الأسوة الحسنة:

يقول تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1].

صفات الأنبياء عليهم السلام

أخطر المناصب وأكبرها مسؤولية قيادة المجتمع البشريّ وهدايته إلى السعادة والكمال، فإنّ المتصدّي لهذه المسؤولية الكبرى عليه أن يتمتّع بصفات وامتيازات خاصّة، كالمعرفة التامّة بإدارة الشؤون الاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والتربوية، بالإضافة إلى الاتّصاف بالفضائل النفسية والروحية والأخلاقية. لذلك نرى القرآن الكريم يركّز على هذه الناحية لأهميتها على صعيد التبليغ حيث يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيّه الكريم بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[2]، وخاطبه تعالى ومثنياً عليه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3].

هذا بالإضافة إلى الصفة الأهمّ والأبرز والتي لها ارتباط وثيق بالتبليغ والهداية وهي صفة العصمة ونتحدّث عنها باختصار.

العصمة

الواسطة بين الله وعباده أي النبيّ يجب أن يكون معصوماً، بمعنى أنّه يجب أن يتمتّع بملكة نفسية قوية تمنعه من ارتكاب المعصية حتّى في أشدّ الظروف. وتنبع هذه الملكة من الوعي التامّ بقبح المعصية والإرادة القوية لضبط الميول النفسية، وهذه تتحقّق بالعناية الإلهية الخاصّة.

(1) سورة الأحزاب، الآية: 21.
(2) سورة آل عمران، الآية: 159.
(3) سورة القلم، الآية: 4.

1. الدليل على العصمة:

هناك العديد من الأدلّة منها:

أنّه لو لم يكن النبيّ معصوماً لكان محلّ إنكار ومورد عتاب كما في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[1]، وأيضاً قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[2]. فمن الطبيعيّ أن يكون النبيّ معصوماً يأتمر بما يأمر وينتهي عمَّا ينهى حتّى لا يُنكر عليه من أحد وحتّى يحصل الوثوق به وبتبليغه ويُعتمد عليه في إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

2. أنواع العصمة:

1. العصمة من الذنوب: الأنبياء عليهم السلام معصومون من ارتكاب الذنوب صغيرها وكبيرها لأنّه لو كان النبيّ مرتكباً للذنوب لأصبح ظالماً إمّا لنفسه أو لغيره وهو خلاف قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.
2. العصمة عن الخطأ والاشتباه: لأنّ النبيّ لو اشتبه وأخطأ يكون خلاف كونه هادياً حيث يحتمل الاشتباه حينها في كلّ قول وتبليغ وحكم، وهذا نقض للغرض الّذي أرسل الأنبياء لأجله، لأنّهم عليهم السلام بعثوا هداة مهديّين. كما يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[3].

ويقول أيضاً: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[4].

ويقول سبحانه وتعالى بحقّ رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[5].

(1) سورة البقرة، الآية: 44.
(2) سورة الصف، الآيتان:2 و3.
(3) سورة الأنبياء، الآية: 73.
(4) سورة الأنعام، الآية: 90.
(5) سورة النجم، الآيتان: 3 و 4.

3. المعصوم غير مجبور على ترك المعصية:

إنّ العصمة لا تعني أنّ الإنسان مجبور على العمل بمقتضاها بل أنّ صاحبها لا يختار المعصية ولا يقع فيها لعلمه بحقيقة الذنب وآثاره، وقوّة العلم توجب قوّة الإرادة، فلا تتعلّق إرادته حينئذٍ إلّا بالطاعات.

خلاصة الدرس

1. العبادة والمعرفة هما الغاية من خلق الإنسان كما ورد في الحديث القدسيّ «**كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف**».
2. تحقّق هذه الغاية يتوقّف على تعيين واسطة بين الخالق وبين المخلوقين يهديهم إلى الرشاد ويعلمهم طرق العبادة والطاعة. ولا يكفي الاعتقاد بنبوّة نبيّ واحد أو بعض الأنبياء بل لا بدّ أن يعتقد الإنسان بنبوّة جميع الأنبياء.
3. هناك فوائد كثيرة من بعثة الأنبياء بالإضافة إلى تعريف الناس وهدايتهم إلى طريق تكاملهم منها:

   أ- تبيين كثير من المعارف الّتي يجهلها الإنسان.

   ب- وجود النبيّ له أثر كبير في تربية الناس.

   ج- ممارسة القيادة السياسية والدينية والاجتماعية.
4. المتصدّي لمقام النبوّة عليه أن يتمتّع بصفات وامتيازات خاصة كالمعرفة التامّة والفضائل الحسنة والعصمة.

أسئلة

1- ما هي الغاية من خلق الإنسان؟

2- لماذا أرسل الله تعالى الأنبياء عليهم السلام؟

3- هل يكفي الاعتقاد بنبوّة نبيّ واحد أو بعض الأنبياء فقط؟ ولماذا؟

4- أذكر بعض فوائد بعثة الأنبياء عليهم السلام؟

5- ما هو الدليل على عصمة الأنبياء عليهم السلام؟

للمطالعة

الأنبياء

عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال للزنديق الّذي سأله من أين أثبت الأنبياء والرسل عليهم السلام؟ قال: إنّه لمّا أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه، ولا يلامسوه، فيباشرهم ويباشروه، ويحاجّهم ويحاجّوه، ثبت أنّ له سفراء في خلقه، يعبّرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبرون عنه جلّ وعزّ، وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب في شيء من أحوالهم مؤيّدين من عند الحكيم العليم بالحكمة، ثمّ ثبت ذلك في كلّ دهر وزمان ممّا أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين، لكيلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علم يدلّ على صدق مقالته وجواز عدالته.

الكافي. الشيخ الكليني، ج١، ص١٦٨

الدرس الثامن

النبوّة الخاصّة

أهداف الدرس

1- أن يذكر طرق إثبات النبوّة وانطباقها على النبيّ محمّد ﷺ.

2- أن يبيّن بعض معجزات النبيّ محمّد ﷺ وخصوصاً معجزة القرآن الكريم.

3- أن يبيّن أن نبوّة النبيّ محمّد ﷺ هي النبوّة الخاتمة.

مقدّمة

لقـد بعث الله آلاف الأنبيـاء عليهم السلام في مراحل تاريخية مختلفـة وأماكن مختلفة مـن العالم وقاموا بمهامّهم خير قيام في هدايـة البشر وتربيتهم وتقوية معتقداتهم وقيمهـم، ودعوا إلى التوحيد والعدل. وتميَّز من بينهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام بـأن أنـزل الله عليهم كتباً سماويَّـة مشتملة على الأحـكام والقوانين الفردية والاجتماعية والتعاليم والوظائـف الأخلاقية والقانونية الملائمة لظروفها الزمانية. ولكـنّ هذه الكتب تعرّضت للتحريف ومنها ما اختفـى وعاش الناس في ضلال لأنّهم باتـوا يأخـذون دينهم مـن رهبانهـم وأحبارهـم وكتبهم مـع ما فيها مـن تحريف، وأساطيـر، وتشويه صـورة الأنبياء، والنيل من مقام الربوبيـة، وتحريم ما أحلّ الله، وتجويز ما حرَّم، فلم يعد أيّ دور يذكر لهداية البشر حيث غاص العالم كلّه في القرن السادس الميلادي في الظلام والجهل والظلم وخمدت مشاعل الهداية الإلهية. وفي ذلك الوقت بعث الله سبحانه وتعالى خاتم الأنبياء وأفضلهم في أكثر المناطق تخلُّفاً وانحطاطـاً وظلماً وجهالةً، أرسله إلى البشر كافّـة ليحمل لهم الكتاب الإلهيّ الخالد ليهديهـم إلى سبيل الرشاد ويعلّمهـم المعارف الحقيقية ويقود البشـر إلى السعادة الدنيوية والأخروية.

يقـول تعالـى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا

عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[1].

ويقـول تعالـى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[2].

الدليل على نبوّة نبيّ الإسلام ﷺ

إثبات نبوّة أيّ نبيّ يتمّ من خلال ثلاث طرق:

الأول: التعرّف إلى سيرتهم وسلوكهم.

الثاني: إخبار الأنبياء السابقين.

الثالث: المعجزة.

وهذه الطرق الثلاث قد توفرَّت في نبوّة نبيّ الإسلام محمّد بن عبد الله ﷺ.

أمّا الأوّل: فإنّ أهل مكّة قد عاشروا الرسول ﷺ أربعين عاماً ولم يجدوا خلالها عثرة من العثرات أو أيّ ضعف في حياته، بل كانت حياته مضيئة بالنور والعطاء وكان يُشار إليه بالبنان، وبالتواضع والزهد والصدق والأمانة حيث لقَّبوه بالصادق الأمين، وكان مثال مكارم الأخلاق حتّى نعته الله تعالى بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾[3].

وأمّا الثاني: فقد أخبر وبشَّر الأنبياء السابقون بنبوّته وبعثته ﷺ. وقد كان ينتظر ظهوره جماعة من أهل الكتاب وكانوا يعرفون بعض العلامات الواضحة والبيّنة عليه، وكانوا يقولون للمشركين من العرب إنّه سيبعث بالرسالة أحد أبناء إسماعيل عليه السلام يصدّق بالأنبياء السابقين. وقد آمن به بعض علماء اليهود والنصارى اعتماداً على تلك البشائر.

(1) سورة آل عمران، الآية: 164.
(2) سورة الجمعة، الآية: 2.
(3) سورة القلم، الآية: 4.

يقـول تعالى في كتابه الكريم على لسـان عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[1].

ويقـول سبحانـه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[2].

ويقـول تعالى على لسـان إبراهيـم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾[3].

إنّ معرفـة علماء بني إسرائيـل بنبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم استناداً إلـى بشارات الأنبياء السابقين تُعدُّ دليلاً واضحاً على صحّة نبوّته صلى الله عليه وآله وسلم وحجّة مقنعة لأهل الكتاب ولغيرهم لمشاهدتهم صدق وحصول هذه البشارات.

أما الثالث: المعجزة إنّ الناس كانوا يطلبون المعجزة من الأنبياء عند ادّعائهم النبـوّة كما حدّثنا القرآن الكريم عن قوم نبـيّ الله صالح عليه السلام: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[4]. وقـد يخبر النبيّ عن تسلُّحه بالمعجزة ابتداءً قبل طلب قومه المعجزة كما حصل مع نبيّ الله موسى عليه السلام مخاطباً فرعون: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[5].

وكذلـك حـدث مـع النبيّ عيسـى عليه السلام كما فـي قوله تعالـى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[6].

(1) سورة الصف، الآية: 60.
(2) سورة الأعراف، الآية: 157.
(3) سورة البقرة، الآية: 129.
(4) سورة الشعراء، الآية: 154.
(5) سورة الأعراف، الآيتان: 105و 106.
(6) سورة آل عمران، الآية: 49.

معجزات نبيّ الإسلام ﷺ

إنّ معجـزات رسـول الله ﷺ أكثـر من أن تحصـى. بل إنّ جميـع أقواله وأفعاله وأحوالـه وأخلاقـه وأوصافه هي معجزات باهرات وآيـات ظاهرات. ومن المعجزات المذكورة في القرآن الكريم:

1. شقّ له القمر بمكّة عندما طلبت قريش منه آية كما أخبر القرآن الكريم ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾[1].
2. رمـى الجيـش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل فـي ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[2].

القرآن المعجزة الخالدة

القـرآن الكريم هو الكتـاب السماويّ الوحيد الّذي أعلن أنّـه لا يمكن لأحدٍ الإتيان بمثله حتّى لو اجتمعت الإنس والجنّ، أو الاتيان بعشر سورٍ أو حتّى بسورة واحدة. يقول تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾[3] ويقول تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[4] ويقـول تعالى: ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[5].

ثمّ إنّ عدم الاستجابة من قبل المشركين لهذا التحدّي لهو دليل على إعجازه وتصديق لنبوّة صاحبه ﷺ.

(1) سورة القمر، الآية: 12.
(2) سورة الأنفال، الآية: 17.
(3) سورة الإسراء، الآية: 88.
(4) سورة هود، الآية: 13.
(5) سورة يونس، الآية: 38.

وجوه إعجاز القرآن

توجد وجوه عديدة لإعجاز هذا الكتاب العظيم منها:

1. أنّه مع كونه مؤلّفاً من هذه الحروف الهجائية المحدودة عجز البشر عن الإتيان بمثله.
2. فرادة الأسلوب وأعجوبة النظم وليس له شبيه في كتب الشعراء والبلغاء والفصحاء.
3. عدم الاختلاف والتناقض فيه، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.

يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[1].

4. اشتماله على الآداب الكريمة والشرائع القويمة ونظام العباد والبلاد والمعاد.
5. اشتماله على ما كان مخفياً من الأخبار الماضية والأزمنة الغابرة كقصص (أصحاب الكهف وسبأ وذي القرنين والخضر).
6. اشتماله على الأمور المستقبلية: «**كغلبة الروم**» في قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾[2].
7. إضافة إلى كلّ وجوه إعجازه مع ذلك فإنّه صدر عن إنسان أمّيّ لم يكن قارئاً ولا كاتباً.

النبوّة الخاتمة

إنّ الدين الإسلاميّ هو الدين الخالد، ودعوته شاملة وعامّة غير محدّدة بمنطقة

(1) سورة النساء، الآية: 82.

(2) سورة الروم، الآيتان: 2 و 3.

وغير مختصّة بقوم. ويؤيّد ذلك الرسائل الّتي كان يبعثها الرسول ﷺ للملوك والحكّام أمثال قيصر الروم وكسرى الفرس وحكّام مصر والشام والحبشة ورؤساء القبائل المختلفة، حيث دعاهم جميعاً لاعتناق الإسلام. ويدلّ على ذلك أيضاً أنّ خطابات الآيات القرآنية متوجّهة للناس جميعاً في الغالب مثل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ ﴿رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾[1]، ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[2].

وهذه الرسالة هي خاتمة الرسالات السماوية، يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾[3].

الآية المباركة تدلّ على أنّ النبيّ الأكرم ﷺ هو خاتم الأنبياء عليهم السلام أي أنّ سلسلة النبوّة تنتهي بنبوته ﷺ، هذا بالإضافة إلى كثير من الروايات الدالّة على ذلك، كقوله ﷺ: «**أيّها الناس إنّه لا نبيّ بعدي ولا أمّة بعدكم**»[4]، وقوله ﷺ لعليّ عليه السلام: «**أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه ليس بعدي نبيّ؟**»[5].

(1) سورة سبأ، الآية: 28.
(2) سورة التوبة، الآية: 33، سورة الفتح، الآية: 28، سورة الصف، الآية: 9.
(3) سورة الأحزاب، الآية: 40.
(4) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج1، ص15.
(5) م.ن.

خلاصة الدرس

1. تميّز من بين الأنبياء؛ نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام بما أنزل الله عليهم من الكتب السماوية المشتملة على الأحكام والقوانين. ولكنّ هذه الكتب تعرّضت للتحريف ومنها ما اختفى تماماً وغاص العالم كلّه في الظلام والجهل. حينها بعث الله خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم في أكثر المناطق تخلّفاً وانحطاطاً وظلماً، للناس كافة ورحمة للعالمين.
2. الدليل على نبوّة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم هو سيرته وسلوكه، وإخبار الأنبياء عليهم السلام السابقين عنه والمعجزة الخالدة.
3. معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من أن تحصى ولكن تبقى معجزته الخالدة الأبرز وهي القرآن الكريم.
4. وجوه إعجاز القرآن عديدة؛ فهو الكتاب السماويّ الوحيد الّذي أعلن أنّه لا يمكن لأحد الإتيان بمثله أو بجزء منه، والذي لا اختلاف ولا تناقض في مضمونه، والذي صدر عن إنسان أميّ لم يكن قارئاً ولا كاتباً.
5. الإسلام هو خاتم الأديان والنبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء لتمام الدين وكماله ولكونه مبعوث لكل الأمم والأقوام.

أسئلة

1- في أي بيئة وجوّ بُعث النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم؟

2- ما هو الدليل على نبوّة نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم؟

3- كيف كان سلوكه صلى الله عليه وآله وسلم مع أهل مكّة؟

4- ما هي معجزة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم؟ وما هو وجه الإعجاز فيها؟

5- ما هو الدليل على أنّ الإسلام خاتم الديانات وأنّ النبيّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم هو خاتم الأنبياء عليهم السلام؟

الإعجاز العلميّ في القرآن

لقد أصبح أمراً ثابتاً ومؤكّداً في علم الهيئة الحديث أنّه لا وجود لكوكب ساكن في الكون وأنّه لا صحّة لموضوعة تقسيم السيارات والكواكب إلى ثابتة ومتحرّكة كما كان يقول القدماء، بل إنّه لا وجود حتّى لكوكب واحد ساكن في هذا العالم اللامتناهي. وحتّى سنين خلت كانت السيارات تعدّ بحدود الـ٣٠٠ مليون بينما صاروا يعجزون اليوم عن عدّها وإحصائها.

وقد ورد في القرآن الكريم بصراحة قول الله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أي أنّه لا وجود للكوكب الثابت بل إنّ كلّ واحد منها يسبح ويتحرّك في المدار الّذي حُدِّد له من قبل الله، في حين أنّ بطليموس كان يقول إنّ الفلك الثامن ما هو إلّا عبارة عن فلك ثابت وإنّ الكواكب الموجودة فيه كواكب ساكنة، لكنّ القرآن يرفض ذلك ويؤكّد أنّ الجميع في حالة حركة مستمرّة.

لقد أصبح من الأمور الثابتة اليوم كون الجبال الواقعة فوق الأرض والممتدّة جذورها في عمق الكرة الأرضية هي السبب في استقرار الأرض. فلولا وجود هذه الجبال فإنّ هذه الكرة الأرضية الّتي تقطع أربعة فراسخ في حركتها الانتقالية في كلّ دقيقة وأربعة فراسخ أخرى في حركتها الموضعية في كلّ ثانية و٢٤٠ فرسخاً في حركتها الدورانية حول نفسها كانت في طريقها إلى الزوال والتلاشي، لكنّ هذه الجبال هي الّتي تمنع تلاشيها. وهذا الأمر سبق أن أشار إليه القرآن المجيد وأكّده قبل ألف وأربعمائة سنة مضت حيث قال تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ كما جاء في سورة النبأ، الآية: ٧.

وكما يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في إحدى خطبه الغراء: «**فطر الخلائق بقدرته ووتّد بالصخور ميدان أرضه**» (نهج البلاغة).

لقد كان هذا بمثابة إشارة إجمالية للموضوع، ومن أراد التفصيل في هذا المجال فليرجع إلى الكتاب الّذي سبق أن أشرنا إليه أو سائر الكتب الأخرى حول الموضوع[1].

(1) النبوة، المعاد، الإمامة، دستغيب، ص33-32.

الدرس التاسع

الإمامة

أهداف الدرس

1- أن يبيّن الطالب أنّ الدين الإسلاميّ كمُل بتنصيب الإمام عليّ عليه السلام للخلافة.

2- أن يذكر معنى الإمامة لغة واصطلاحاً.

3- أن يبيّن بعض ما ورد في النصّ على إمامة الإمام عليّ عليه السلام والأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

المقدّمة

إنّ الديـن قـد كمـل على يدي رسـول الله ﷺ والنعمـة قد تمَّـت، وإنّ الله تعالى قد رضـي لنا الإسلام ديناً. يقول تعالـى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[1]. ولكـن متـى رضي الله سبحانـه وتعالى بهذا الدين واعتبره كاملاً وتاماً؟!

فـي الجواب عن هذا السـؤال نرجع إلى الحادثة الّتي حصلـت وسبَّبت نزول هذه الآيـة الكريمة الّتي نزلت في السنة العاشرة للهجرة وعند عودة النبيّ ﷺ من حجّة الـوداع عندما نزل جبرائيل عليه السلام بالآية المباركة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[2].

فمـا هو هذا البـلاغ العظيم والمهمّ الّـذي توقّفت عليه الدعـوة وصحّتها وتوقف عليه كمال الدين، وجهاد ومعاناة النبيّ ﷺ والمسلمين طوال ثلاثة وعشرين عاماً؟ فعندهـا نُصـب لرسـول الله ﷺ منبر وصعد عليه وقـال ﷺ: «**أيّها الناس إنّ الله مولاي وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ألا من كنت مولاه فعليّ مولاه اللّهمّ والِ**

(1) سورة المائدة، الآية: 3.

(2) سورة المائدة، الآية: 67.

من والاه»[1] وبعدها سلَّم المسلمون على عليّ عليه السلام بإمرة المسلمين.

فالله تعالى رضي عن هذا الدين واعتبره كاملاً عندما نصَّب الرسول صلى الله عليه وآله إماماً وعندما جعل خليفة، يكمل دور النبوّة في الهداية والرعاية. وهكذا كانت سنَّة الأنبياء السابقين عليهم السلام فإنّهم كانوا يوصون إلى أوصياء بعدهم حتّى لا يتركوا الأمّة في فراغ بل ليهدوا الأمّة إلى سبل الخير ويعرِّفوهم طرق التكامل والرشد.

مفهوم الإمامة

الإمامة في اللغة: الرئاسة العامّة وكلّ من يتصدّى لرئاسة جماعة يسمّى «**إماماً**».

الإمامة في الاصطلاح: هي الرئاسة والقيادة العامّة الشاملة على الأمّة الإسلامية في كلّ الأبعاد والجوانب الدينية والدنيوية.

الإمامة استمرار للنبوّة

بعدما عرفنا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله هو خاتم النبيّين وأنّ الخلافة هي سنَّة مستمرّة بين الأنبياء عليهم السلام حتّى لا تخلو الأرض من حجّة ولحفظ ما أنجزه الأنبياء عليهم السلام وإتمام دورهم في هداية الناس إلى كمالهم الروحيّ والأخلاقيّ وكلّ ما يرتبط في حياتهم وآخرتهم ويكون ذلك على يدي إنسان يتمتّع بنفس مواصفات النبيّ من الكفاءة والمؤهّلات ويمتلك كلّ مناصب النبيّ إلّا النبوّة والرسالة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**اللهمّ بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة، إمّا ظاهراً مشهوراً وإمّا خائفاً مغموراً، لئلّا تبطل حجج الله وبيّناته**»[2].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّ الله لم يدع الأرض بغير عالم، ولولا ذلك لم يُعرف الحقّ من الباطل**»[3].

(1) بحار الأنوار، ج23، ص141.
(2) نهج البلاغة، السيّد الرضي، حكمة 147.
(3) الكافي، ج1، ص178.

من يختار الإمام عليه السلام ؟

إنّ مسألة الإمامة ليست مسألة سهلة بل لها من الأهمية والخطورة بحيث لا يمكن أن يقـوم بها وبمهامّهـا إلّا من اختصّه الله تعالى بصفات خاصّة لذلك لم يترك أمر اختيار أصحابها إلى الناس، بل كان الأئمة يعيّنون من قبل الله تعالى على لسان من سبقهم من الأنبياء والأئمّة عليهم السلام ، يقول تعالى مخاطباً النبيّ إبراهيم عليه السلام : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1].

وهذه الآية المباركة تدلّ على أنّ الّذي يتصدّى لهذا المنصب يجب أن يكون مقبولاً ومرضيـاً عند الله سبحانه وتعالى لأنّ مسألة الإمامة هي عهد من الله وصاحب هذا العهـد عليه أن يتمتّع بصفات ومؤهّلات كثيرة كالعصمـة تماماً كما كانت شرطاً في النبوّة، ويدلّ على ذلك:

1. الآيـة السابقة: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[2]. تنصّ الآية الكريمة على أنّ الظالم وهـو المرتكـب للمعصيـة لا يمكـن أن يصل إلى هـذا المقام العظيـم وهو مقام الإمامة الإلهية.
2. وقولـه تعالـى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3]. فالله تعالى أراد لأهل البيت عليهم السلام باعتبار أنّهم أصحاب المنصب الإلهـيّ أن يكونوا مطهَّرين مـن الأنجاس والأرجاس. وما أراده الله تعالى لا بدّ أن يقع لأنّه تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[4].

(1) سورة البقرة، الآية: 124.
(2) الآية نفسها.
(3) سورة الأحزاب، الآية: 33.
(4) سورة يس، الآية: 82.

النصّ على الإمام عليه السلام

قلنا إنّ منصب الإمامة هو استمرار للنبوّة فلذلك ما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يترك المجتمع يعيش في فراغ بعد رحيله حيث تقع فيه الخلافات والنزاعات ويرجع الناس إلى عهد الجاهلية، بل إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الّذي بعث رحمة للعالمين وسيّد العقلاء الّذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، كان قد نصَّ على ولاية وإمامة عليّ عليه السلام في مناسبات كثيرة منذ انطلاق الدعوة الإسلامية، حيث ينقل لنا التاريخ تلك الحادثة المعروفة بحديث الدار عندما جمع عشيرته ولم يؤازره على أمره غير الإمام عليّ عليه السلام فقال عندها صلى الله عليه وآله وسلم: «**أنت أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي**»[1]، ثمّ أكّد على هذه الولاية في العديد من النصوص لاحقاً إلى أن وصل إلى حديث الغدير الّذي أوردناه أولاً.

هذا بالإضافة إلى الآيات الواردة في حقّ أمير المؤمنين عليه السلام الّتي منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾[2].

وقد أجمع المفسرون من السنّة والشيعة على أنّها نزلت بحقّ أمير المؤمنين عليه السلام عندما تصدَّق بخاتمه أثناء الصلاة.

ومنها قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾[3]. وفي أسباب نزول هذه الآية المباركة، روى الثعلبيّ الّذي هو من المفسّرين السنّة، «**أنّه لمّا كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بغدير خمّ نادى الناس فاجتمعوا، فأخذ بيد عليّ عليه السلام فقال من كنت مولاه فعليّ مولاه، فشاع ذلك وطار في البلاد فبلغ الحارث بن النعمان الفهريّ فأتى**

(1) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج 1، ص 50.
(2) سورة المائدة، الآية: 55.
(3) سورة المعارج، الآية: 2.

نحو النبيّ ﷺ على ناقته حتّى أتى الأبطح فنزل عن ناقته فأناخها وعقلها، ثمّ أتى النبيّ ﷺ وهو في ملأ من أصحابه فقال: يا محمّد أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله ففعلناه، وأمرتنا أن نصلّي خمساً فقبلناه، وأمرتنا أن نصوم شهر رمضان فقبلناه، وأمرتنا أن نحجّ البيت فقبلناه، ثمّ لم ترض بهذا حتّى رفعت بضبعي ابن عمّك وفضّلته علينا، وقلت من كنت مولاه فعليّ مولاه، وهذا شيء منك أم من الله؟ فقال النبيّ ﷺ: والذي لا إله إلا هو، من الله، فولّى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهمّ إن كان ما يقول محمّد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتّى رماه الله بحجر فسقط على هامته فقتله وأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾»[1].

النصّ على الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام

لأهمية موقع الإمامة وخطورته لم يكتفِ النبيّ ﷺ بالنصّ على أمير المؤمنين عليه السلام فقط، بل أشار إلى الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام في مناسبات عديدة وبصيغ مختلفة، منها: ما رواه جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، ثمّ قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟

قال: كلّهم من قريش»[2].

وفي رواية عن الصحابيّ الجليل جابر بن عبد الله الأنصاريّ قال: لمّا أنزل الله تبارك وتعالى على نبيّه ﷺ: «يا أيّها الّذين امنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم؟ قلت يا رسول الله قد عرفنا الله ورسوله فمن أولي الأمر الّذين قرن الله طاعتهم؟ فقال ﷺ: هم خلفائي وأئمّة المسلمين بعدي أوّلهم:

(1) التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ج8، ص292.
(2) بحار الأنوار، ج36، ص266.

عليّ بن أبي طالب، ثمّ الحسن والحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر فإذا لقيته فاقرأه عنّي السلام، ثمّ الصادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر ،ثمّ عليّ بن موسى، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ سميّي وكنيّي حجّة الله في أرضه وبقيّته في عباده ابن الحسن بن عليّ، الّذي يفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الّذي يغيب عن شيعته غيبة لا يثبت على القول في إمامته إلّا من امتحن الله قلبه بالإيمان»[1].

(1) بحار الأنوار، ج23، ص289.

خلاصة الدرس

1. إنّ الدين قد كمل وتمّت النعمة عندما نصّب رسول الله ﷺ الإمام عليّاً عليه السلام إماماً وخليفة من بعده، وبذلك رضي الله تعالى لنا هذا الدين العظيم واعتبره كاملاً.
2. الإمامة هي القيادة والرئاسة العامة الشاملة على الأمّة الإسلامية من جميع الجوانب.
3. الإمامة مسألة خطيرة لا يمكن أن يقوم بأعبائها إلّا من اختصه الله تعالى بصفات خاصة، ولا بدّ أن يكون منصوصاً عليه من قبل الله تعالى.
4. نصّ النبيّ ﷺ على وجود اثني عشر إماماً في مناسبات عديدة، وهناك بعض الروايات عنه ﷺ تنصّ على أسمائهم كالرواية المرويّة عن جابر الأنصاريّ.

أسئلة

1- متى كمل الدين وتمّت النعمة؟ اذكر الحادثة والزمان والمكان والآية.

2- عرِّف الإمامة لغةً واصطلاحاً.

3- ما هو الدليل على عصمة الإمام عليه السلام ؟

4- من ينصب الإمام ولماذا؟

5- اذكر حديثاً ينصّ على الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام .

الإمامة

كان عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه منهم حمران بن أعين، ومحمد بن النعمان، وهشام بن سالم، والطيار، وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شابّ فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته؟ فقال هشام: يا ابن رسول الله إنّي أجلّك وأستحييك ولا يعمل لساني بين يديك، فقال أبو عبد الله: إذا أمرتكم بشيء فافعلوا. قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة فعظم ذلك عليّ فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متّزر بها من صوف، وشملة مرتد بها والناس يسألونه، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثمّ قعدت في آخر القوم على ركبتي ثمّ قلت: أيها العالم إنّي رجل غريب تأذن لي في مسألة؟ فقال لي: نعم، فقلت له: ألك عين؟ فقال: يا بنيّ أيّ شيء هذا من السؤال؟ وشيء تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت هكذا مسألتي فقال يا بنيّ سل وإن كانت مسألتك حمقاء قلت: أجبني فيه قال لي سل قلت ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص، قلت: فلك أنف؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أشمّ به الرائحة قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعم، قلت: فلك أذن؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت، قلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أميّز به كلّ ما ورد على هذه الجوارح والحواس، قلت: أوليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ فقال: لا، قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة؟ قال: يا بنيّ إنّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمّته أو رأته أو ذاقته أو سمعته، ردته إلى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشكّ، قال هشام: فقلت له: فإنّما أقام الله القلب لشكّ الجوارح؟ قال: نعم،

قلـت: لا بـدّ من القلب وإلا لـم تستيقن الجوارح؟ قـال: نعم، فقلت له: يـا أبا مروان فـاللّه تبارك وتعالـى لم يترك جوارحك حتّـى جعل لها إماماً يصحّـح لها الصحيح ويتيقّـن به ما شكّ فيه ويتـرك هذا الخلق كلّهم في حيرتهـم وشكّهم واختلافهم، لا يقيـم لهـم إماماً يردّون إليه شكّهـم وحيرتهم، ويقيم لك إمامـاً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك؟! قال: فسكت ولم يقل لي شيئاً.

ثـم التفـت إليّ فقال لـي: أنت هشام بـن الحكم؟ فقلت: لا، قـال: أمن جلسائه؟ قلت: لا، قال: فمن أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة قال: فأنت إذا هو، ثم ضمني إليه، وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه وما نطق حتى قمت، قال: فضحك أبو عبد اللّه عليه السلام وقـال: يا هشام من علمـك هذا؟ قلت: شيء أخذته منـك وألفته، فقال: هذا واللّه مكتوب في صحف إبراهيم وموسى[1].

(1) الكافي، ج1، ص170.

الدرس العاشر

معرفة الإمامة

أهداف الدرس

1- أن يبيّن الطالب أهميّة الإمامة وكونها تمام الدين.

2- أن يشرح مخاطر التقصير في معرفة الأئمّة عليهم السلام.

3- أن يشرح كيف تكون الإمامة هي ضمانة المحافظة على الرسالة الإلهية والدين الحنيف.

تمام الدين

عن الإمام الرضا عليه السلام:

«**وأنزل في حجّة الوداع وهي آخر عمره** صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]، **وأمر الإمامة من تمام الدين**»[2].

إنّ للإمامة شأناً عظيماً في الإسلام، فليست هي مجرّد منصب سياسيّ، أو حدث زمانـيّ ذي تأثيرات محدودة، بل إنّ كمال الديـن لا يتحقّق إلّا من خلال الإمامة كما عبّـرت الآيـة الكريمة السابقة. فالإمامـة هي مسألة دينية بل هـي كمال الدين، فما معنى عبارة كمال الدين؟ إنّ كون الإمامة كمال الدين يعني ما يلي:

الإمامة أساس استمرار الإسلام

فالإسلام ليس ديناً محدوداً بزمن حياة الرسول محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أو أكثر بقليل حتّى يأتي نبـيّ آخر، بل هـو دين الله الّذي تتعبّد به البشرية إلى قيام الساعة. وهذا يفرض حفظ الديـن كما هو على امتداد خـطّ البشرية، فكيف يمكّن الدين بعـد النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم؟ هناك ضمان قد وضعه النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه لهذه الأمّة حيث قال:

(1) سورة المائدة، الآية: 3.

(2) الكافي، ج1، ص199.

«إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما فلن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[1].

فالضمان مركّب من أمرين لا يغني أحدهما عن الآخر، هما القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام. فصحيح أنّ القرآن الكريم محفوظ لا يقع فيه تحريف أبداً، ولكن في آياته المحكم والمتشابه والمجمل والمبين، لذلك وقع الخلاف في تفسير آياته وفهمها والمقصود منها وتأسّست مدارس ومذاهب واتّجاهات كلّ منها يفسّر آياته بشكل مختلف عن الآخر، فما هو الصحيح بين كلّ تلك الأفكار؟ هنا يأتي دور الثقل الآخر في الرواية:

«عترتي أهل بيتي».

ويشير الإمام الباقر عليه السلام إلى هذا الموضوع:

«بُني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة، والزكاة، والحجّ، والصوم، والولاية».

قال زرارة: فقلت: وأيّ شيء من ذلك أفضل؟

فقال عليه السلام:

«الولاية أفضل لأنّها مفتاحهنّ، والوالي هو الدليل عليهنّ»[2].

الإمامة ضمانة التطبيق الصحيح لأحكام الإسلام

صحيح أنّ الإسلام قد أبلغه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقواعده وأحكامه العامّة، بل وتفاصيله ومفرداته وتطبيقاته الّتي كانت موجودة في زمانه صلى الله عليه وآله وسلم، لكنّنا نعلم أنّ طرق حياة الإنسان تتغيّر وبالتالي تطبيقات الأحكام الشرعية ومفرداتها تختلف من زمن لآخر

(1) وسائل الشيعة، ج27، ص34.
(2) بحار الأنوار، ج65، ص332.

رغـم ثبـوت كلّياتها. وهنا نقف أمام تحـدٍّ آخر هو كيفية التطبيـق الصحيح لأحكام الإسلام على هذه المفردات المستجدّة، وأيّ تطبيق سيبقى في كثير من الأحيان في إطـار الظنّ ما لم يكن هناك إمام معصوم أعرف بأهداف الإسلام وحقائق أحكامه ليطبّقها على المستجدّات بشكل قطعيّ.

ولعـلّ الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام: «**إنّ الإمامة أسّ الإسلام النامي وفرعه السامـي**»[1]، فيهـا إشـارة إلى هـذا المعنى، فالإمامـة بالإضافة إلـى حفظها لأصل الإسلام هي كذلك فرع الإسلام ومن خلالها يكون التفريع الصحيح.

الإمامة ضمان وحدة المسلمين ونظامهم

فـإنّ الله تعالـى لم يتـرك الأمّة دون ولـيّ وراعٍ يقودهـا إلى صلاحهـا في الدنيا والآخـرة بل عيّن لهم الإمـام الواجب الطاعة على الدوام والـذي من خلاله تحصل الوحـدة والنظام وعزّة الإسلام والمسلميـن، وهناك العديد من الروايات الّتي تشير إلى ذلك.

فعن الإمام الرضا عليه السلام:

«**إنّ الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعزّ المؤمنين**»[2].

وعن الإمام عليّ عليه السلام:

«**فرض الله تعالى الإمامة نظاماً للأمّة**»[3].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**اسمعوا وأطيعوا لمن ولّاه الله الأمر، فإنّه نظام الإسلام**»[4].

(1) بحار الأنوار، ج25، ص123.
(2) م.ن.
(3) م.ن، ج6، ص111.
(4) م.ن، ج23، ص298.

وتفـرّق المسلمين واختلافهـم وضعفهم لم ينشأ من فراغ فـي القيادة الشرعية، لأنّهـا كانـت موجودة على الدوام بـل نشأ من تخلّي الناس عن هـذه القيادة، وكذلك كانت غيبة إمام زماننا عجل الله فرجه الشريف نتيجة تخلّي الأمّة عن نصرته.

معنى المعرفة

المعرفـة تعني الإقـرار بإمامتهم عليهم السلام والالتزام بها، وليسـت هي مجرّد إدراك مـع عدم الإقرار والالتزام. وتكفي هذه المعرفـة الإجمالية، وأمّا المعرفة التفصيلية لمقامهـم وشأنهـم عليهم السلام عنـد الله تعالى وما بلغوه مـن مراتب الكمـال، فهي تزيد ارتبـاط الأمّة بهم وتعطي معنى أوضـح للإمامة وإن لم تكن شرطاً، وعلينا أن نلتفت إلى أنّ عدم وجوب المعرفة لا يعني الإنكار.

التقصير في معرفتهم عليهم السلام

روى الصـدوق رضـوان الله عليه فـي عيون أخبار الرضـا عليه السلام: أنّ ابراهيم بن أبـي محمود قال للرضـا عليه السلام: يا ابن رسول الله إنّ عندنا أخبـاراً في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وفضلكم أهل البيت وهي من رواية مخالفيكم ولا نعرف مثلها عندكم أفتدين بها؟فقال عليه السلام:

«يـا ابـن أبـي محمـود إنّ مخالفينا وضعـوا أخباراً فـي فضائلنـا وجعلوها على ثلاثـة أقسـام، أحدها الغلوّ، وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنـا، فـإذا سمع الناس الغلوّ فينا كفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعـوا التقصيـر اعتقدوه فينـا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنـا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنـا وقـد قال الله عـزّ وجـلّ: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ إلـى أن قـال: يـا ابـن أبـي محمـود احفظ مـا حدّثتـك به فقد

جمعت لك فيه خير الدنيا والآخرة»[1].

إنّ التقصير بحق أهل البيت عليهم السلام هو أحد الأمور الّتي يجب على المؤمن اجتنابها، وهو إنزال أهل البيت عليهم السلام عن المقام الّذي وضعهم الله تعالى فيه. وإنزالهم عن مقامهم قد يكون عن عمد كمن يحاول أن يضعفهم بين الأمّة ليحصل على مقام وسلطان وجاه، وقد يكون عن جهل وعدم علم، وعدم العلم في كثير من مقاماتهم عليهم السلام إذا كان عن جهل وعدم اطّلاع مع إقرار بعدم العلم لا يعتبر تقصيراً، بل التقصير ينشأ من إنكار ما هو ثابت.

لذلك ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«ما جاءكم منّا ممّا يجوز أن يكون في المخلوقين ولم تعلموه ولم تفهموه فلا تجحدوه وردّوه إلينا، وما جاءكم عنّا ممّا لا يجوز أن يكون في المخلوقين فاجحدوه ولا تردّوه إلينا»[2].

(1) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج4، ص504.

(2) بحار الأنوار، ج52، ص364.

خلاصة الدرس

1. كمال الدين يكون بالإمامة. وهذا يعني أنّ الإمامة هي أساس استمرار الإسلام ومن خلالها يتمّ تطبيق أحكامه على المفردات الطارئة، وهي ضمان وحدة المسلمين ونظامهم.
2. المعرفة تعني الإقرار بإمامتهم عليهم السلام والالتزام بها، وليست هي مجرّد إدراك مع عدم الإقرار والالتزام.
3. إنّ التقصير هو أحد الأمور الّتي يجب على المؤمن اجتنابها، وهو شيء من إنزال أهل البيت عليهم السلام عن المقام الّذي وضعهم الله تعالى فيه.
4. الإمامة هي الضمانة الوحيدة لاستمرار نهج الهداية والتوحيد في المجتمع وبين المسلمين.

أسئلة

1- لماذا كانت الإمامة هي كمال الدين؟

2- ما ميزة هذا الدين عن الأديان السابقة؟

3- ما المقصود من معرفة الإمام عليه السلام ؟

4- كيف يتحقّق التقصير في معرفة الإمام عليه السلام ؟

5- قسم الإمام الرضا عليه السلام الأخبار الموضوعة إلى ثلاثة أقسام ما هي؟

أهمّية معرفة الإمام

عن الإمام الصادق عليه السلام

«الأوصياء هم أبواب الله عزّ وجلّ الّتي يؤتى منها ولولاهم ما عُرف الله عزّ وجلّ، وبهم احتجّ الله تبارك وتعالى على خلقه»[1].

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«إنّ للغلام أيّ الإمام المهديّ عجل الله فرجه غيبة قبل أن يقوم».

قلت: ولم؟

قال عليه السلام:

«يخاف وأومأ بيده إلى بطنه».

ثمّ قال عليه السلام:

«يا زرارة وهو المنتظر، وهو الّذي يُشكّ في ولادته، منهم من يقول: مات أبوه بلا خلف ومنهم من يقول: حمل ومنهم من يقول: إنّه وُلد قبل موت أبيه بسنتين، وهو المنتظر غير أنّ الله عزّ وجلّ يحبّ أن يمتحن الشيعة، فعند ذلك يرتاب المبطلون يا زرارة»، قلت: جعلت فداك إن أدركت ذلك الزمان أيّ شيء أعمل؟ قال عليه السلام: **«يا زرارة إذا أدركت هذا الزمان فادع بهذا الدعاء «اللّهمّ عرّفني نفسك، فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيّك، اللّهمّ عرّفني رسولك، فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك، اللّهمّ عرّفني حجّتك، فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني»**[2].

(1) الكافي، ج1، ص193.
(2) م.ن، ص337.

الدرس الحادي عشر

العصمة

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى معنى وحقيقة العصمة.

2- أن يبيّن منشأ العصمة.

3- أن يستدل بالقرآن على عصمة الأئمة وأنّ العصمة لا تعني الجبر.

ما هي العصمة؟

العصمــة فــي أصل اللغة هي ما اعتصم به الإنسان مــن الشيء كأنّه امتنع به عن الوقوع فيما يكره[1]. قال تعالى:

﴿قَالَ سَآوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾[2].

وأمّــا العصمة في العقيدة فهي صفة تُنسب إلــى أصحاب المقامات الإلهية سواءً كانــوا أنبياء أم أئمّة هداة، فهي ثابتة للنبيّ محمّد ﷺ وللأئمّة الاثني عشر من أهل بيته عليهم السلام. وسنتحدّث فيما يلي عن جانبين من جوانب العصمة:

العصمة عن الذنوب

فهــم عليهم السلام معصومون عن الذنوب والمعاصي صغائرهــا وكبائرها، ولا يمكن أن يرتكبوا شيئاً من ذلك. وهناك العديد من الأدلّة الّتي تدلّ على ذلك، فمن هذه الأدلّة:

قولــه تعالــى: ﴿۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3].

هــذه الآية تتحدّث عن خليل الله إبراهيــم عليه السلام عندما أعطاه الله مقام الإمامة

(1) معنى العصمة والمعصوم... في اللغة والحديث واصطلاح المتكلمين، مركز المصطفى ﷺ، ص28.
(2) سورة هود، الآية: 43.
(3) سورة البقرة، الآية: 124.

الإلهية، فسأله إن كان سيعطيها لأحد من ولده فأتى الجواب من الله تعالى أنّ الظالم منهم لا يمكن له أن يتسلّم هذا المنصب الجليل، والظلم هو ارتكاب المعاصي.

وهذا ما أكّدته الروايات أيضاً ففي رواية عن سليم بن قيس قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

«إنّما الطاعة لله عزّ وجلّ ولرسوله ولولاة الأمر، وإنّما أمر بطاعة أولي الأمر لأنهم معصومون مطهّرون لا يأمرون بمعصيته»[1].

فالذي يتحمّل مهمّة الإمامة وقيادة الأمّة نحو الهداية لا يمكن أن يكون من أهل المعاصي وإلّا قاد الأمّة نحو الضلال بدل الهداية.

ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2].

فالله تعالى أراد لأهل البيت عليهم السلام أن يكونوا منزّهين عن الرجس مطهّرين من الذنوب، وما أراده تعالى لا بدّ من تحقّقه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[3]. وكذلك ورد ذلك في الروايات كما في خبر الأعمش عن الصادق عليه السلام:

«الأنبياء وأوصياؤهم لا ذنوب لهم لأنّهم معصومون مطهّرون»[4].

العصمة عن الخطأ والاشتباه

العصمة عن الخطأ: فالأئمة منزّهون عن الاشتباه أيضاً، كما ورد في العديد من الروايات الّتي تؤكّد ذلك، ومن تلك الروايات الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام في

(1) بحار الأنوار، ج25، ص200.
(2) سورة الأحزاب، الآية: 33.
(3) سورة يس، الآية: 82.
(4) بحار الأنوار، ج52، ص199.

وصـف الإمام يقول: «**فهو معصوم مؤيّد موفّق مسدّد قد أمن من الخطاء والزلل والعثار**»[1].

وكذلك في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام:

«**نحـن قـوم معصومون، أمـر الله تبارك وتعالـى بطاعتنا ونهى عـن معصيتنا، نحن الحجّة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض**»[2].

وهـذه الرواية الأخيـرة تتضمّن إشارة إلى الدليل علـى ضرورة عصمة الإمام حتّـى عن الخطأ والاشتبـاه، فقد أمر الله تعالى بطاعتهم، ولـو صدر عنهم خطأ أو اشتبـاه مع وجوب طاعتهم فهـذا يعني وجوب اتّباع الخطـأ والاشتباه وهو غير ممكن، وكذلك هم الحجّة البالغة، فلا يمكن للحجّة البالغة أن يكون فيها خطأ أو اشتباه.

وهذا لا يختصّ بكلماتهم عليهم السلام بل حتّى في أفعالهم وممارساتهم لأنّ أفعالهم هي رسالة وحجّة على الناس أيضاً، يقول تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[3].

فالاقتـداء بهم هو هداية محض لا يمكن أن يشوبها ضلال، وحيث إنّ الهداية من مهامّ مقام الإمامة:

﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾[4] يلـزم أن يكـون الإمـام معصوماً عن مثل ذلك.

(1) بحار الأنوار، ج71، ص108.
(2) الكافي، ج1، ص269.
(3) سورة الأنعام، الآية: 90.
(4) سورة الأنبياء، الآية: 73.

منشأ العصمة

1. العلم:

إنّ الأمر الّذي تتحقّق به العصمة نوع من العلم يمنع صاحبه عن التلبّس بالمعصية والخطأ. وبعبارة أخرى علم مانع عن الضلال، وهو عبارة عن «**وجود العلم القطعيّ اليقينيّ بعواقب المعاصي والآثام**» علماً قطعياً لا يغلب ولا يدخله شكّ، ولا يعتريه ريب، وهو أن يبلغ علم الإنسان درجة يلمس في هذه النشأة لوازم الأعمال وآثارها في النشأة الأخرى وتبعاتها فيها، ويصير على حدّ يدرك بل يرى درجات أهل الجنّة ودركات أهل النار. وهذا العلم القطعيّ هو الّذي يزيل الحجب بين الإنسان وتوابع الأعمال، كما أشار إليه تعالى في الآيتين الكريمتين:

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾[1].

والأتقياء يقاربون هذه الحقيقة كما وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام:

«**فهم والجنّة كمن قد رآها، فهم فيها منعّمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون**»[2].

فإذا بلغ العلم إلى هذه الدرجة من الكشف فإنّه يصدّ الإنسان عن ارتكاب المعاصي واقتراف المآثم بل لا يجول حولها فكره.

2. التقوى:

إنّ العصمة هي درجة عليا من التقوى، فما توصف به التقوى وتُعرف به، تُعرف وتوصف به العصمة، روي عن الإمام عليّ عليه السلام:

«**بالتقوى قُرنت العصمة**»[3].

(1) سورة التكاثر، الآية: 65.

(2) نهج البلاغة، ج2، الخطبة المعروفة بخطبة المتقين.

(3) عيون الحكم والمواعظ، الواسطي، ص189.

ولا شكّ أنّ التقوى حالة نفسية تبعد الإنسان عن اقتراف القبائح والمعاصي، فإذا بلغت تلك الحالة أعلى مراتبها تعصم الإنسان عن اقتراف جميع قبائح الأعمال، وذميم الفعال، بشكل كامل، بل تعصم الإنسان حتّى عن التفكير في المعصية.

هل الإمام مجبور على ترك المعصية؟

إنّ العصمة لا تعني أنّ الإنسان مجبور على العمل بمقتضاها، ولكنّها تعني أنّ الإنسان لا يمكن - فعلاً - أن يختار المعصية وأن يقع فيها. ونتيجة علم الله تعالى بذلك يختاره إماماً ويشمله بعنايته ولطفه الخاصّ. فالإمام عليه السلام لا يخرج عن كونه إنساناً مختاراً لأفعاله قادراً على فعل ما يريد، ولكن إرادته لا تتعلق إلّا بالطاعات.

عن الإمام الصادق عليه السلام لمّا سأله هشام عن معنى المعصوم:

«المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]»[2].

ويستدلّ على ذلك العلّامة الطباطبائيّ في تفسير الميزان حيث يقول: **«إنّ هذا العلم أعني ملكة العصمة لا يغيّر الطبيعة الإنسانية المختارة في أفعالها الإرادية ولا يخرجها إلى ساحة الإجبار والاضطرار، كيف والعلم من مبادئ الاختيار؟ ومجرّد قوّة العلم لا يوجب إلّا قوّة الإرادة كطالب السلامة إذا أيقن بكون مائع ما سُمّاً قاتلاً من حينه فإنّه يمتنع باختياره من شربه قطعاً وإنّما يضطرّ الفاعل ويجبر إذا أخرج من يجبره أحد طرفي الفعل والترك من الإمكان إلى الامتناع. ويشهد على ذلك قوله: ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3].**

(1) سورة آل عمران، الآية: 101.
(2) بحار الأنوار، ج25، ص194.
(3) سورة الأنعام، الآيتان: 87 و 88.

تفيد الآية أنّهم في إمكانهم أن يشركوا بالله وإن كان الاجتباء والهدى الإلهيّ مانعاً من ذلك وقوله: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ..﴾[1].

إلى غير ذلك من الآيات. فالإنسان المعصوم إنّما ينصرف عن المعصية بنفسه ومن اختياره وإرادته ونسبة الصرف إلى عصمته تعالى كنسبة انصراف غير المعصوم عن المعصية إلى توفيقه...»[2].

(1) سورة المائدة، الآية: 67.

(2) تفسير الميزان، ج11، ص163.

خلاصة الدرس

1. العصمة في العقيدة هي صفة تنسب إلى أصحاب المقامات الإلهية سواءً كانوا أنبياء أم أئمّة هداة، فهي ثابتة للنبيّ محمّد ﷺ وللأئمّة الاثني عشر من أهل بيته عليهم السلام، فهم عليهم السلام معصومون عن الذنوب والمعاصي صغائرها وكبائرها، ولا يمكن أن يرتكبوا شيئاً من ذلك. وهناك العديد من الأدلّة الّتي تدلّ على ذلك.
2. المعصومون عليهم السلام منزّهون عن الاشتباه أيضاً كما ورد في العديد من الروايات.
3. تنشأ العصمة من العلم فهي نوع من العلم يمنع صاحبه عن التلبّس بالمعصية والخطأ، وبعبارة أخرى علم مانع عن الضلال، وهو عبارة عن «**وجود العلم القطعيّ اليقينيّ بعواقب المعاصي والآثام**» علماً قطعياً لا يغلب عليه ولا يدخله شكّ.
4. وتنشأ العصمة أيضاً من التقوى فهي درجة عليا من التقوى، فما توصف به التقوى وتُعرف به، تُعرف وتوصف به العصمة.
5. إنّ العصمة لا تعني أنّ الإنسان مجبور على العمل بمقتضاها، ولكنّها تعني أنّ الإنسان لا يمكن أن يختار المعصية وأن يقع فيها، ونتيجة علم الله تعالى بذلك يختاره إماماً ويشمله بعنايته ولطفه الخاصّ.

أسئلة

1- ما هي العصمة؟

2- هل المعصوم مجبور على عدم المعصية؟

3- أذكر دليلين على العصمة.

حلم آل البيت عليهم السلام

مـن حلم الإمام الحسن عليه السلام ما روى المبرّد وابن عائشـة أنّ شامياً رأى الإمام الحسن عليه السلام راكباً فجعل يلعنه والإمام الحسن لا يردّ فلمّا فرغ أقبل الإمام الحسن عليه السلام فسلّـم عليه وضحك وقال عليه السلام: «**أيها الشيخ أظنّـك غريباً، ولعلك شبّهت، فلـو استعتبتنـا أعتبنـاك، ولـو سألتنـا أعطينـاك، ولـو استرشدتنا أرشدنـاك، ولو استحملتنـا أحملنـاك، وإن كنـت جائعـاً أشبعنـاك، وإن كنـت عرياناً كسونـاك، وإن كنـت محتاجاً أغنينـاك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلـو حرّكـت رحلـك إلينا، وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالـك كان أعود عليك، لأنّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً**».

فلمّا سمع الرجل كلامه، بكى ثمّ قال: أشهد أنّـك خليفة اللّه في أرضه، اللّه أعلم حيث يجعل رسالته. وكنت أنت وأبوك أبغض خلق اللّه إليّ والآن أنت أحبّ خلق اللّه إليّ. وحوّل رحله إليه. وكان ضيفه إلى أن ارتحل، وصار معتقداً لمحبّتهم .

ومـن حلم آل البيت عليهم السلام مـا روي أنّ أبا الحسن موسى الكاظم عليه السلام كان يوماً في حائط (بستان) له يصرم[1] قال الراوي: فنظرت إلى غلام له قد أخذ كارة[2] من تمـر فرمى بها وراء الحائط، فأتيته وأخذته وذهبت به إليه، فقلت: جعلت فداك إنّي وجدت هذا وهذه الكارة، فقال عليه السلام للغلام: يا فلان.

(1) يصرم النخل أيّ يجزّه.
(2) الكارة هي المقدار.

قال: لبّيك.

قال عليه السلام: أتجوع؟

قال: لا يا سيّدي.

قال عليه السلام: فتعرى؟

قال: لا يا سيّدي.

قال عليه السلام: فلأيّ شيء أخذت هذه؟ قال: اشتهيت ذلك.

قال عليه السلام: اذهب فهي لك.

وقال عليه السلام: خلوا عنه[1].

(1) الكافي، ج2، ص10.

الدرس الثاني عشر

الولاية التكوينية

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى معنى وحقيقة الولاية التكوينية.

2- أن يبيّن الأدلّة من القرآن الكريم على الولاية التكوينية.

3- أن يستدل على ثبوت الولاية التكوينية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار.

مقدمة

الولايــة التكوينية هي من المسائل الّتي يتمّ بحثهــا عند التعرّض للإنسان الكامل سواء كان نبياً أم إماماً...

وهــذا البحث غيــر مختصّ بالشيعة، فقــد نجد من غير الشيعة مــن يقول بثبوت الولاية لبعض الأشخاص، كما أنّه ليس محلّ إجماع لدى الشيعة حيث نجد آراءً أخرى لبعض العلماء حول ثبوت هذا الأمر لأحد من الناس.

معنى الولاية التكوينية

المقصــود من الولاية التكوينيــة القدرة على التصــرّف دون توسّط البدن، قدرة محدودة بحدّ معيَّن أو مطلقة تشمل كلّ ممكن.

وهذا يجعــل الولاية التكوينية في إطار قدرات الوليّ بحيث إنّه قادر على فعل هذه الأشياء إن أراد، بإرادة الله تعالى وتسديده.

الولاية التكوينية في القرآن الكريم

لا شــكّ أنّ هناك معجزات وخوارق للعــادات ظهرت على أيدي الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم أجمعين، وذلك في مناسبات متعدّدة وظروف متفاوتة.

إنّمــا الكلام في أنّ هذه المعجزات هل صدرت عنهم وكانت من فعلهم، بحيث إنّ الله تعالى أعطاهم القدرة على ذلك؟

الأدلة على الولاية التكوينية

يمكن التمسّك والاستدلال بآيات من القرآن الكريم لإثبات صدور المعجزات عن الأنبياء عليهم السلام، وهذه الآيات هي:

1. **الآية الأوّلى:** قوله تعالى:

﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[1]. هذه الآية الكريمة صرّحت أنّ الّذي يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى ويخلق الطير هو عيسى عليه السلام بنفسه، فالله سبحانه وتعالى قد أعطى عيسى عليه السلام القدرة على ذلك.

الآية الثانية: قوله تعالى:

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾[2].

ذكر المفسّرون أنّ معنى ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾ أيّ ذلّلناها لطاعته أي سليمان عليه السلام فهي تتحرّك بإرادته واختياره حيث أراد.

الآية الثالثة: قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾[3].

أي جعلنا الحديد مطيعاً لداود عليه السلام يتحرّك كيفما حرّكه وهو تعبير آخر عن السلطة والولاية على الحديد.

وفي رواية: «... **وألان لهما (داود وسليمان عليهما السلام) الحديد والصفر**[4] **من غير نار**»[5].

(1) سورة آل عمران، الآية: 49.
(2) سورة ص، الآية: 36.
(3) سورة سبأ، الآية: 10.
(4) الصُّفر: على وزن قفل: النحاس، المصباح المنير مادة (صفر).
(5) تفسير القمّي، ج2، ص70.

الآية الرابعة: قوله تعالى:

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ﴾[1].

ذكرت هذه الآيات قصّة عرش بلقيس الّذي استطاع أن يأتي به الّذي عنده علم من الكتاب وهو وصيّ سليمان آصف بن برخيا من اليمن إلى الشام قبل أن يرتدّ إلى سليمان طرفه، وقد فعل ذلك بنفسه ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ﴾. وعدم ذكر اسمه والاكتفاء بذكر علمه «**عنده علم من الكتاب**» يشير إلى أن هذا العلم هو سبب قدرته تلك.

قال في تفسير الأمثل: «**أحضر عرش بلقيس بطرفة عين بالاستعانة بقوته المعنوية**»[2].

ثبوت هذه الولاية لأئمّة أهل البيت عليهم السلام

هناك روايات كثيرة تدلّ على ثبوت مثل هذه الولاية والقدرة للأئمّة الأطهار عليهم السلام، نذكرها ضمن العناوين التالية:

1. عندهم علم الكتاب:

لقد أوردنا فيما سبق الآيات الّتي نقلت قصّة عرش بلقيس وكيف استطاع أن ينقله آصف في طرفة عين بسبب ما عنده من علم الكتاب.

وفي رواية عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«﴿ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ **ولم يخبر أنّ عنده** ﴿عِلْمٌ ٱلْكِتَٰبِ﴾، **والمنّ لا يقع من الله على الجميع، وقال لمحمّد** صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ **فهذا الكلّ ونحن المصطفون**»[3]. وغيرها العديد من الروايات المشابهة.

(1) سورة النمل، الآيات: 38 ـ 40.

(2) الأمثل في تفسير القرآن، الشيخ الشيرازي، ج12، ص70.

(3) تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي، ص145.

2. يقدرون على معجزات الأنبياء عليهم السلام:

ففي رواية عن أبي بصير (وكان ضريراً) قال: «**دخلت على أبي عبدالله عليه السلام وأبي جعفر عليه السلام، وقلت لهما: أنتما ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله؟**

قال عليه السلام: نعم.

قلت: فرسول الله وارث الأنبياء علم كلّ ما علموا؟

فقال لي عليه السلام: نعم.

قلت: أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرئوا الأكمه والأبرص؟

فقال لي عليه السلام: نعم بإذن الله.

ثمّ قال عليه السلام: أدن مني يا أبا محمّد، فمسح يده على عيني ووجهي، وأبصرت الشمس والسماء والأرض والبيوت وكلّ شيء في الدار. قال عليه السلام:

أتحبّ أن تكون هكذا، ولك ما للنّاس وعليك ما عليهم يوم القيامة، أو تعود كما كنت ولك الجنّة خالصاً؟». قلت: أعود كما كنت، قال: فمسح على عيني فعدت كما كنت، قال عليّ: فحدّثت ابن أبي عمير، فقال: «أشهد أنّ هذا حقّ كما أنّ النهار حقّ»[1].

3. قدرتهم عليهم السلام على ما يريدون:

وهناك الكثير من الروايات تؤكّد أنّ الله تعالى أعطى الأئمّة عليهم السلام قدرة يستطيعون أن يفعلوا من خلالها كلّ ما يريدون. هذه الروايات جاءت بتعبيرات متعدّدة، نذكر منها:

1. حدّثنا الحسن بن أحمد بن محمّد بن سلمة عن محمّد بن المثنّى عن أبيه عن عثمان بن زيد عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال:

(1) بحار الأنوار، ج46، ص237.

«**إنّ الله أقدرنا على ما نريد، ولو شئنا أن نسوق الأرض بأزمّتها لسقناها**»[1].

2. محمّد بن يحيى عن أحمد بن أبي زاهر أو غيره عن محمّد بن حمّاد عن أخيه أحمد بن حمّاد عن إبراهيم عن أبيه عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال:

«**إنّ الله يقول في كتابه** ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ﴾. **وقد ورثنا نحن هذا القرآن الّذي فيه ما تسير به الجبال وتقطع به البلدان وتحيى به الموتى، وإنّ في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلّا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله ممّا كتبه الماضون، جعله الله لنا في أمّ الكتاب**»[2].

والروايات بمجموعها مع ملاحظة اشتمالها على روايات صحيحة السند تدلّ على ثبوت مثل هذه القدرة للأنبياء والأوّلياء وعلى رأسهم النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام. وإلى هذه الحقيقة يشير الإمام الخمينيّ رحمه الله في كتاب الحكومة الإسلامية حيث يقول: «**إنّ للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرّات هذا الكون**»[3].

(1) بحار الأنوار، ج46، ص240.

(2) الكافي، ج1، ص226.

(3) الحكومة الإسلامية، الإمام الخميني قدس سره، طباعة مركز الإمام الخميني الثقافي، ص56.

خلاصة الدرس

1. الولاية التكوينية هي القدرة على التصرّف من دون توسّط البدن.
2. لا شكّ أنّ هناك معجزات وخوارق للعادات ظهرت على أيدي الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم أجمعين، وقد نقلتها آيات القرآن الكريم، عن عيسى وسليمان وداود عليهم السلام ...
3. القرآن الكريم حافل بالآيات التي تظهر ثبوت الولاية التكوينية للأنبياء والأولياء عليهم السلام.
4. هذه الولاية ثابتة للأئمّة عليهم السلام كما في الروايات لكونهم:
   - يعلمون الكتاب
   - يقدرون على معجزات الأنبياء
   - يقدرون على ما يريدون.

   وذلك كله بإرادة الله تعالى وإذنه.

أسئلة

1- ما معنى الولاية التكوينية؟

2- أذكر آيتين تدلّان على الولاية.

3- هل الّذي جاء بعرش بلقيس هو من الإنس أم من الجنّ؟ وكيف استطاع ذلك؟

4- ما هو الدليل على أنّ ولاية أهل البيت عليهم السلام أوسع من ولاية آصف بن برخيا؟

5- من أين جاءت قدرة الأئمّة عليهم السلام على ما يريدون بحسب المستفاد من بعض الروايات؟

الصبيّ الشجاع

إنّ في حادثــة السبي الّتي تعرّض لها عيال الإمام الحسين عليه السلام من كربلاء إلى الكوفة ثمّ إلى الشام من العبر والقصص المؤثّرة ما نبّه الناس إلى ظلم هذه الطبقة الحاكمة الّتي تربّعت ظلماً وقهراً على رقاب المسلمين ودنّست منبر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بما ارتكبته من الأعمال المنافية للإسلام بل للإنسانية. وبقدر ما كان بنو أمية على هذا النحــو من الانحطاط كان أهل البيت عليهم السلام على طــرف النقيض من ذلك فقد كانوا النموذج الأمثل بل الأكمل لكلّ إنسان عاش في حياته همَّ طاعة الله فوفّقه الله وأيّده من نعومة أظفاره إلى أن ينتقل إلى دار رحمته الواسعة. ومن القصص الّتي تروى في أيّــام السبــي عندما كان السبايا في الشام، أنّ الحاكــم الظالم يزيد بن معاوية نظر إلى ولد كان برفقة السبايا فقال له:

هل تستطيع أن تتصارع مع ابني؟

فأجابه ذلك الصبيّ الواثق من نفسه والمتشبّث بحقّه:

إنّنــي لا أحبّ المصارعة، ولكن إذا شئت اختبار قوّة ساعديّ ولدك فهات سيفين لنتبــارز بهمــا، فإذا قتلني التحقت بجــدّي وأبي، وإذا قتلته التحــق بجدّه أبي سفيان وابنه معاوية!..

فبهــت يزيد من هذا الجواب الحاضر لهذا الطفــل الصغير وقال: إنّه غصن من شجرة النبوّة فكيف لا يكون شجاعاً؟

الدرس الثالث عشر

التوسُّل

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى معنى وحقيقة التوسُّل.

2- أن يستدل الطالب بالقرآن والسنة على مشروعية التوسل.

3- أن يبيّن بمن يمكن للإنسان ان يتوسّل.

ما هو التوسُّل؟

التوسُّـل لغة من وسلـت إلى ربّي وسيلةً: عملتُ عملاً أتقرّبُ بـه إليه، وتوسّلت إلى فلان بكتاب أو قرابة، أيّ تقرّبتُ به إليه[1].

فالوسيلـة هي كلّ ما يُتقرّب به إلى الآخر. والمقصود من التوسّل هنا هو أن يقدّم الإنسان أمام طلبته وسيلةً أقرب منه إلى ربّه كي ينال بدعائها أو بكرامتها مطلوبه.

تشريع التوسّل

لا شـكّ أنّ هنـاك العديد مـن الطرق الّتي جعلهـا اللّه تعالى لتساعـد العبد على الارتبـاط بـه فجعل الصلاة وجعل الصـوم وجعل العبادات كلّها بـل جعل الكثير من الطرق حتّى قال تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[2].

ولـم ينحصـر الارتباط باللّه بأفعـال عبادية معيّنة فقط، فحتّـى النظر إلى وجه العالم طريق ارتباط باللّه تعالى كما في الرواية عن رسول اللّه ﷺ:

«**النظر إلى وجه العالم عبادة**»[3].

(1) العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، مادة وسل.
(2) سورة فصّلت، الآية: 53.
(3) بحار الأنوار، ج1، ص195.

وجعل الكثير من أبواب الرحمة الّتي أكثر تعالى منها لسعة رحمته وشدّة رأفته، ففتح باب التوبة وباب الشفاعة...

وهذا أيضاً مما لا شكّ فيه. ولكن باعتبار أنّ فتح الأبواب بيد المولى تعالى يُطرح هذا السؤال: هل التوسّل هو من الأبواب الّتي فتحها الله تعالى، وبالتالي يمكننا الدخول إلى ساحة رحمته من هذا الباب؟

لا مانع في الأصل من فتح هذا الباب، وهو لا يتنافى مع الصفات الإلهية بل على العكس فرحمته تعالى أوسع من أن تضيق عن فتح أبواب كهذه ليرد من خلالها العباد. فليس الكلام في إمكان ذلك، بل الكلام في ثبوته، فهل هناك دليل شرعيّ يدلّ على شرعية التوسّل؟ عندما نراجع القرآن الكريم والروايات الشريفة سنجد الكثير من الأدلّة الدالّة على ذلك، وسنستعرضها فيما يلي:

أدلّة التوسّل

هناك نوعان من الأدلّة الدّالة على تشريع التوسّل:

النوع الأوّل: النصوص الشرعيّة الّتي تنقل قصص التوسّل الواقعة من الأنبياء عليهم السلام أو من غيرهم مع عدم الاعتراض عليهم في ذلك، ومن هذه النصوص:

1. أنّ آدم عليه السلام قد توسّل بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كما تقول الرواية:

«... قال: ربّي أسألك بحقّ محمّد لما غفرتَ لي، فقال الله عزّ وجلّ: يا آدم، كيف عرفت محمّداً ولم أخلقه؟ قال: لأنّك يا ربّ لمّا خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله، فعلمت أنّك لم تُضِفْ إلى اسمك إلاّ أحبّ الخلق إليك...»[1].

(1) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي، ج5، ص489.

2. أبنـاء يعقوب عليه السلام بعدما كُشفَ أمرهم وبان ظلمهـم توسّلوا بدعاء أبيهم النبيّ وقالوا له: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾[1].

3. اليهـود أيضـا كانوا يتوسّلون بنبيّنا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ففـي الرواية عن ابن عبّاس قال: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان... فكلّما التقوا هُزمت اليهود، فعاذت بهذا الدعاء: «**اللهـمّ إنّـا نسألك بحـقّ محمّد النبيّ الأمّـي الّذي وعدتنـا أن تخرجه لنا آخر الزمـان إلاّ نصرتنا عليهـم**»، فكانوا إذا دعوا بهذا الدعاء هزموا غطفان... فلمّا بُعث صلى الله عليه وآله وسلم كفروا به فأنزل الله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[2].

النوع الثاني: النصوص الشرعية الّتي تشرّع التوسّل بشكل صريح:

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[3].

وهذه الآية لا تدلّ على مجرّد جواز التوسّل، بل تعتبره أمراً مطلوباً وراجحاً.

قوله تعالى:

﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾[4].

فهذه الآية الشريفة تؤكد التوسّل بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمن ظلم نفسه، فعلى هؤلاء أن يأتوا إلـى النبـيّ صلى الله عليه وآله وسلم ليستغفر لهم الله تعالـى، وحينئذ سيجدون الله توّابـاً رحيماً. وهذا واضح في كون التوسّل باباً من أبواب رحمته تعالى.

(1) سورة يوسف، الآية: 97.
(2) سورة البقرة، الآية: 89.
(3) سورة المائدة، الآية: 35.
(4) سورة النساء، الآية: 64.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾.

فهـذه الآية الكريمـة ذمّت الّذين يرفضون إتيان رسـول الله ﷺ ليكون وسيلتهم إلى الله تعالى فيستغفر لهم، وذمّت استكبارهم عن ذلك.

بمن نتوسّل؟

1. التوسّل بالقرآن الكريم:

عن عمران بن الحصين: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«اقرأوا القرآن، واسألوا الله تبارك وتعالى به، قبل أن يجي ء قوم يسألون به الناس»[1].

وفي حديث الإمام عليّ عليه السلام:

«واعلمـوا أنّ هذا القـرآن هو الناصح الّذي لا يغشّ... فاسألوا الله به، وتوجّهوا إليه بحبِّه، ولا تسألوا به خلقه، إنّه ما توجّه العباد إلى الله تعالى بمثله»[2].

وفي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام:

«واجعـل القـرآن وسيلةً لنا إلى أشرف منـازل الكرامة...اللهم صلّ على محمّد وآل محمّـد واحطـط بالقـرآن عنّا ثقـل الأوزار... وهوّن بالقرآن عنـد الموت على أنفسنا كربَ السياق وجهد الأنين..»[3].

وقـد ورد الكثير مـن الأدعية لدينا، علّمنا الأئمّة عليهم السلام مـن خلالها أن نسأل الله تعالـى بالقرآن الكريم. ومن الأدعيـة المعروفة في التوسّل بالقـرآن الدعاء في ليلة القدر الّذي بدايته:

(1) مسند أحمد، ج4، ص445.

(2) نهج البلاغة، الخطبة 176، ص260، تحقيق صبحي الصالح.

(3) الصحيفة السجّادية، الدعاء 42.

«اللهمّ إنّي أسألك بكتابك المنزل وما فيه، وفيه اسمك الأكبر وأسماؤك الحسنى وما يُخاف ويُرجى أن تجعلني من عتقائك من النار...»[1].

2. التوسّل بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام:

إنّ من الأكيد أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام هم أقرب إلى الله من سائر العباد، وأنّ دعاءهم أقرب إلى الإجابة من قبَل الله، لما لهم من كرامة ومقام لديه، ومن هنا كان الناس يسألون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام أن يدعوا لهم. ولم يكن ذلك فكرة مبتدعة من عندهم بل تعليماً من القرآن الكريم، وقد أشرنا فيما سبق إلى الآيات القرآنيّة الّتي تؤكد ذلك.

وهذا الأمر غير مختصّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيمكن التوسّل بدعاء أهل البيت عليهم السلام، بل يمكن التوسّل بدعاء أيّ مؤمن، فللمؤمن عند الله تعالى كرامة.

وبالإضافة للتوسّل بدعائهم هناك التوسّل بذواتهم عليهم السلام ونفوسهم الطاهرة الزكية، وقد كثرت الأدعية الواردة بذلك وأشهرها دعاء التوسّل الّذي ذكره ورواه صاحب البحار رحمه الله عن محمّد بن بابويه القمّي رحمه الله والذي أوّله:

«اللّهمّ إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك نبيّ الرحمة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم يا أبا القاسم يا رسول الله..» وفي آخره عبارة: **«فإنّكم وسيلتي إلى الله»**[2].

ويذكر لنا التاريخ قصّة لطيفة عن رجل أمره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يتوسّل به إلى الله حيث يروى أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أمره أن يصلّي ركعتين ثمّ يقول:

«اللّهمّ إنّي أسألك وأدعوك وأرغب إليك وأتوجّه إليك بنبيّك محمّد نبيّ الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم، يا مُحَمَّد إنّي أتوجّه بكَ إلى الله ربِّكَ وَرَبِّيْ ليَرُدَّ بِكَ عَلَيَّ نُوْرَ بَصَرِي». فما قام الأعمى حتّى رد الله عليه بصره[3].

(1) الكافي، ج2، ص629.
(2) بحار الأنوار، ج99، ص247
(3) بحار الأنوار، ج29، ص286.

ويمكن التوسّل بالصلاة عليهم عليهم السلام أيضاً، فعن الإمام الصادق عليه السلام:

«إيّاكم إذا أراد أحدكم أن يسأل من ربّه شيئاً من حوائج الدنيا والآخرة حتّى يبدأ بالثناء على الله عزّ وجلّ والمدح له، والصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ يسأل الله حاجته»[1].

وقال عليه السلام: **«إنّ العبد لتكون له الحاجة إلى الله تعالى فيبدأ بالثناء على الله والصلاة على محمّد وآله حتّى ينسى حاجته، فيقضيها من غير أن يسأله إيّاها»**[2].

ومن هنا نخلص إلى أنّ التوسّل من الأمور المهمّة في عقيدة الإنسان المؤمن، وهو طريق له لقضاء الحاجات وغفران الذنوب لقرب المتوسّل به إلى الله تعالى، نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لأن نكون من الذاكرين ومن أهل التوسّل.

(1) الكافي، ج2، ص484.

(2) بحار الأنوار، ج90، ص312.

خلاصة الدرس

1. التوسّل هو أن يقدّم الإنسان أمام طلبته وسيلةً أقرب منه إلى ربّه كي ينال بدعائها أو بكرامتها مطلوبه.
2. لا مانع في الأصل من فتح هذا الباب، وهو لا يتنافى مع الصفات الإلهية بل على العكس فرحمته تعالى أوسع من أن تضيق عن فتح أبواب كباب التوسّل ليرد من خلالها العباد.
3. هناك نوعان من الأدلّة الدّالة على تشريع التوسّل:

النوع الأوّل: النصوص الشرعية الّتي تنقل قصص التوسّل الواقعة من الأنبياء، أو من غيرهم مع عدم الاعتراض عليهم في ذلك.

النوع الثاني: النصوص الشرعيّة الّتي تشرّع التوسّل بشكل صريح.

4. التوسّل يمكن أن يكون:
   - بالقرآن الكريم.
   - بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام؛ وبالإضافة للتوسّل بدعائهم هناك التوسّل بذواتهم عليهم السلام ونفوسهم الطاهرة الزكية، وقد كثرت الأدعية الواردة بذلك.

أسئلة

1- ما معنى التوسّل؟

2- أذكر نموذجاً تاريخياً عمن توسّل في الأمم السابقة.

3- ما السبب الداعي إلى التوسّل؟

4- أذكر آيتين من القرآن تشيران إلى التوسّل.

5- أذكر بعض أنواع التوسّل.

للمطالعة

فضل التوسّل

بسند متّصل عند محمّد الجعفيّ عن أبيه قال: كنت كثيراً ما اشتكي عيني فشكوت ذلك إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال عليه السلام:

«ألا أعلّمك دعاء لدنياك وآخرتك وتكفي به وجع عينيك؟».

قلت: بلى.

قال عليه السلام:

«قل في دبر الفجر ودبر المغرب، اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد عليك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد وأن تجعل النور في بصري والبصيرة في ديني واليقين في قلبي والإخلاص في عملي والسلامة في نفسي والسعة في رزقي والشكر لك أبداً ما أبقيتني»[1].

(1) مختصر بصائر الدرجات، حسن بن سليمان الحلي، ص166.

الدرس الرابع عشر

الشـفاعة

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى معنى الشفاعة.

2- أن يتبيّن الأدلّة على ثبوت الشفاعة.

3- أن يبيّن الصفات التي ينبغي ان تتوفر في الإنسان حتى تشمله الشفاعة.

ما هي الشفاعة؟

الشَّفاعةُ في اللغة: كلام الشَّفيع للْمَلك في حاجة يسأَلُها لغيره، وشَفَعَ إليه: في معنى طَلَبَ إليه، والشَّافِعُ: الطالب لغيره يَتَشَفَّعُ به إلى المطلوب، يقال: تَشَفَّعْتُ بفلان إلى فلان فَشَفَّعَني فيه واسم الطالب شَفِيع، والمُشَفَّعُ: الّذي يَقْبَل الشفاعةَ والمُشَفَّعُ: الّذي تُقْبَل شَفَاعَتُه[1].

والمراد من الشفاعة هنا هو طلب الشفيع من الله كي يغفر الله ذنوب شخص معيّن ويدخله الجنّة، فهي في الحقيقة باب من أبواب رحمة الله تعالى، جعله من خلال هذا الشفيع المتمثّل بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام وغيرهم ممّن يأذن له الله تعالى بذلك، لأجل تكريمهم وإظهار علوّ شأنهم ومقامهم.

يقول الله تعالى مخاطباً رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾[2].

وقد فسّرت الروايات المقام المحمود بالشفاعة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّ الناس يصيرون يوم القيامة جُثى، كلّ أمة تتبع نبيّها، يقولون: يا فلان!

(1) لسان العرب، ابن منظور، ج8، ص143.

(2) سورة الإسراء، الآية: 79.

اشفع، يا فلان! اشفع، حتّى تنتهي الشفاعة إلى محمّد، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود»[1].

وعن رسول الله ﷺ: **«إذا قمت المقام المحمود تشفّعت في أصحاب الكبائر من أمّتي فيشفّعني الله فيهم»**[2].

والشفاعة كما ذكرنا هي باب من أبواب رحمة الله تعالى فهي لا تكون إلّا بإذنه وإرادته: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾[3].

ويقول في آية أخرى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[4].

ما هو الدليل على الشفاعة؟

إنّ الشفاعة من المسائل الواضحة والتي ذكرت في القرآن الكريم، يدلّ على ثبوتها العديد من آيات الكتاب والأحاديث المرويّة عن المعصومين عليهم السلام، وسنستعرض، فيما يلي، بعضاً منها:

1. الآيات القرآنية:

بالإضافة إلى ما مرّ معنا من الآيات السابقة، نذكر قوله تعالى:

﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾[5].

فهي تدلّ على أنّ الشفاعة موجودة بالأصل إلّا أنّها مشروطة بمن أذن الله تعالى له فيها.

(1) كنز العمال، المتقي الهندي، ج14، ص39.
(2) بحار الأنوار، ج8، ص37.
(3) سورة البقرة، الآية: 255.
(4) سورة يونس، الآية: 3.
(5) سورة طه، الآية: 109.

قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[1].

وقد فسّرت الروايات هذا العطاء من الله للنبيّ ﷺ بالشفاعة، ففي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾، «**الشفاعة، والله الشفاعة، والله الشفاعة**»[2].

1. الأحاديث الشريفة:

منها ما روي عن رسول الله ﷺ:

«**لأشفعنّ يوم القيامة لمن كان في قلبه جناح بعوضة إيمان**»[3].

وفي رواية أخرى عنه ﷺ:

«**يشفع الأنبياء في كلّ من كان يشهد أن لا إله إلّا الله مخلصاً**»[4].

وفي رواية ثالثة عن الرسول الأكرم ﷺ:

«**لكل نبيّ دعوة قد دعا بها وقد سأل سؤلاً، وقد خبّأت دعوتي لشفاعتي لأمّتي يوم القيامة**»[5].

وعنه ﷺ:

«**إنّي أشفَّع يوم القيامة فأشفع، ويشفَّع عليّ فيشفع ويشفَّع أهل بيتي فيشفعون**»[6].

(1) سورة الضحى، الآية: 5.
(2) بحار الأنوار، ج8، ص57.
(3) كنز العمال، المتقي الهندي، ج14، ص390.
(4) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ج3، ص13.
(5) الخصال، الشيخ الصدوق، ص29.
(6) بحار الأنوار، ج8، ص30.

من هم الشفعاء؟

لقد أكرم الله سبحانه وتعالى بعضاً من عباده، حينما وجد منهم خُلقاً رفيعاً ونفساً طاهـرة، بأن شفّعهم في ذنوب العباد. ومن الّذيـن ذكرت الروايات أنّ لهم الشفاعة بالإضافة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام الّذين ذكرت الروايات شفاعتهم:

1. الأنبياء عامّة:

ففـي الروايـة عن الرسـول الأكـرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**ثلاثـة يشفعـون إلـى الله عـزّ وجلّ فيشفّعهم: الأنبياء، ثمّ العلماء، ثمّ الشهداء**[1].

2. العلماء:

حيـث ورد فـي الرواية عن الإمام الصـادق عليه السلام: «**إذا كان يـوم القيامة... قيل للعابد: انطلق إلى الجنّة، وقيل للعالم: قف تشفّعْ للناس بحسن تأديبك لهم**»[2].

3. الشهداء:

فإنّ للشهداء منزلة عظيمة عند الله تعالى، وقد وردعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**الشهيد يُغفر له في أوّل كلّ دفقة من دمه، ويزوّج حوراً عين ويشفَّع في سبعين من أهل بيته**»[3].

4. الإنسان المؤمن:

المخلص في تقواه وإيمانه، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام:

«**المؤمـن مؤمنـان: فمؤمن صدق بعهد الله ووفى بشرطـه، وذلك قول الله عزّ وجـلّ: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ﴾ فذلك الّذي لا تصيبه أهوال الدنيا ولا أهـوال الآخـرة، وذلك ممّن يشفع ولا يشفع له، ومؤمن كخامة الزرع، تعوج أحياناً**

(1) بحار الأنوار، ج8، ص56.
(2) م.ن.
(3) كنز العمال، المتقي الهندي، ج4، ص398.

وتقوم أحياناً، فذلك ممّن تصيبه أهوال الدنيا وأهوال الآخرة، وذلك ممّن يشفع له ولا يشفع»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«يا فضل إنّما سُمّي المؤمن مؤمناً لأنّه يؤمن على الله فيجيز الله أمانه، ثمّ قال: أمّا سمعت الله يقول في أعدائكم إذا رأوا شفاعة الرجل منكم لصديقه يوم القيامة: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم؟»[2].

من الّذي تناله الشفاعة؟

هناك صفات لا بدّ أن تتوفّر في الإنسان حتّى تشمله الشفاعة، وهي بحسب المستفاد من الروايات ما يلي:

1. صحّة العقيدة:

فإنّ إنكار أصول الدين يمنع من نيل الشفاعة في الآخرة، يقول تعالى:

﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾[3].

فهذه الآيات الكريمة تشير إلى شرط التوحيد.

وفي آيات أخرى:

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[4].

وهي كذلك لا تنال الغلاة كما في الرواية عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«رجلان لا تنالهما شفاعتي: صاحب سلطان عسوف غشوم، وغال في الدين مارق»[5].

(1) الكافي، ج2، ص248.
(2) بحار الأنوار، ج8، ص53.
(3) سورة الشعراء، الآيات: 97 ـ 100.
(4) سورة المدثر، الآيات: 46 ـ 48.
(5) الخصال، ص63.

2. عدم الاستخفاف بالصلاة:

في الرواية عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا ينال شفاعتي من استخفّ بصلاته، ولا يرد عليّ الحوض لا والله»[1].

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام لمّا أمر باجتماع قرابته حوله وقد حضرته الوفاة قال لهم:

«إنّ شفاعتنا لن تنال مستخفّاً بالصلاة»[2].

فالصلاة هي عمود الدين وإذا ضيّعها الإنسان واستخفّ بها، لن يكون ممّن تناله الشفاعة.

أيّها المؤمن لا تغترّ

إنّ وجود الشفاعة لا يسوّغ للإنسان الوقوع في معصية الله أو التهاون في أداء الطاعات اتّكالاً منه على الشفاعة، فإنّ الشفاعة لا تنال إلّا من رضي الله عنه وأذن بالشفاعة له، ومعاندة الرحمن تستجلب النقمة. فصحيح أنّه رحمن رحيم ولكنّه شديد العقاب أيضاً.

وفي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام:

«اعلموا أنّه ليس يغني عنكم من الله أحد من خلقه شيئاً، لا ملك مقرب، ولا نبيّ مرسل، ولا من دون ذلك، فمن سرّه أن تنفعه شفاعة الشافعين عند الله فليطلب إلى الله أن يرضى عنه»[3].

(1) الكافي، ج6، ص400.
(2) وسائل الشيعة، ج4، ص27.
(3) ميزان الحكمة، ج2، ص1471.

ولا ينسجم طلب الرضا مع تعمّد المعصية ومعاندة الحكم الشرعيّ.

ولا بدّ للمؤمن الّذي يقع في المعصية أن يبادر إلى التوبة قبل حلول الأجل فالتوبة هـي باب الرحمة المفتوح على مصراعيـه والمضمونة نتائجه ولا يستسلم لتسويلات النفس الأمّارة بالسوء وليتذكّر الرواية عن رسول الله ﷺ:

«**لا شفيع أنجح من التوبة**»[1].

(1) ميزان الحكمة، ج8، ص5.

خلاصة الدرس

1. الشفاعة هي طلب الشفيع من الله كي يغفر الله ذنوب شخص معيّن ويدخله الجنّة، فهي باب من أبواب رحمة الله تعالى.
2. الشفاعة من المسائل الواضحة والتي ذكرت في القرآن الكريم، ويدلّ على ثبوتها العديد من آيات الكتاب والأحاديث المروية عن المعصومين عليهم السلام.
3. الشفعاء هم: الأنبياء عامّة، العلماء، الشهداء، الإنسان المؤمن.
4. لا تنال الشفاعة من أنكر شيئاً من أصول الدين، ولا الغلاة، ولا المستخفّ بصلاته.
5. إنّ وجود الشفاعة لا يسوّغ للإنسان الوقوع في معصية الله أو التهاون في أداء الطاعات اتّكالاً منه على الشفاعة، فإنّ الشفاعة لا تنال إلا من رضي الله عنه وأذن بالشفاعة له، ومعاندة الرحمن تستجلب النقمة. فصحيح أنّه رحمن رحيم ولكنّه شديد العقاب أيضاً.

أسئلة

1- ما هي الشفاعة؟

2- ما هو الدليل عليها؟ أذكر دليلين.

3- من هم الشفعاء؟

4- هل هناك من لا ينال الشفاعة؟

5- هل ينبغي عدم التوبة وانتظار الشفاعة؟

الشفاعة في المعاد

عـن الإمام جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام، عـن جابر بن عبد الله الأنصاريّ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال:

«قالت فاطمة عليها السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أبتاه أين ألقاك يوم الموقف الأعظم ويوم الأهوال ويوم الفزع الأكبر؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: يا فاطمة عند باب الجنّة ومعي لواء الحمد وأنا الشفيع لأمّتي إلى ربّي.

قالت عليها السلام: يا أبتاه فإنّ لم ألقك هناك؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: القيني على الحوض وأنا أسقي أمّتي.

قالت عليها السلام: يا أبتاه إن لم ألقك هناك؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: القيني على الصراط وأنا قائم أقول: ربّ سلّم أمّتي.

قالت عليها السلام: فإنّ لم ألقك هناك؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: القيني وأنا عند الميزان أقول: ربّ سلّم أمّتي.

قالت عليها السلام: فإنّ لم ألقك هناك؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: القيني على شفير جهنّم أمنع شررها ولهبها عن أمّتي.

فاستبشرت فاطمة عليها السلام بذلك، صلّى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها»[1].

(1) بحار الأنوار، ج8، ص35.

الدرس الخامس عشر

الرجعة

أهداف الدرس

1- أن يبيّن الطالب معنى وحقيقة الرجعة.

2- أن يستدل بالقرآن والسنة على الرجعة و زمن حدوثها.

3- أن يتبيّن أهداف الرجعة ومن الذين يرجعون.

لقـد وردت أحاديث كثيرة حول الرجعـة- ما يقرب من مائتي حديث - وقد رواها أكثـر مـن أربعين من الثقـات العظام وكبار العلمـاء وأثبتوها فـي مؤلّفاتهم كالشيخ الكلينـيّ والشيـخ الصدّوق والشيخ الطوسـيّ والسيّد المرتضـى والسيّد ابن طاووس وغيرهـم من أقطاب المذهب الجعفريّ حتّى ادُّعـيَ التواتر على هذه المسألة، حيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ليس منّا من لم يؤمن برجعتنا**»[1].

معنى الرجعة

الرجعـة هـي عبارة عـن عودة قـوم عند قيـام القائـم عجل الله فرجه ممن تقـدّم موته من أوليائـه وشيعتـه إلى الحياة الدنيا ليفـوزوا بثواب نصرته ومعونتـه ويبتهجوا بظهور دولتـه، وحشر قوم مـن أعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض مـا يستحقّونه من العذاب والقتل على أيدي شيعته، وليبتلوا بالذلّ والخزي بما يشاهدون من علوّ كلمته، أيّ هي مختصّـة بمن محض الإيمـان ومحض الكفر[2]. ويمكن أن يستـدلّ على الرجعة تارة بالقرآن بالكريم وأخرى بالروايات.

الآيات الدالّة على الرجعة

توجد آيات عديدة دلَّت على الرجعة وفقاً للتفسير الّذي ورد عن أهل البيت عليهم السلام، من هذه الآيات:

(1) الهداية، الشيخ الصدوق، ص266.

(2) حق اليقين في معرفة أصول الدين، السيّد عبد الله شبّر، ج2، ص298.

الآية الأوّلى:

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾[1].

هـذه الآية المباركة دلّت علـى الرجعة باعتبار أنّ الحشر الأكبر يوم القيامة يكون لـكلّ الناس وليس لبعضٍ دون الآخر، أمّا هذه الآية فقد صرّحت بأنّ الحشر لبعضهم دون الآخر.

وقـد ورد عـن الإمام الصـادق عليه السلام في تفسير هـذه الآية المباركـة عندما سئل عليه السلام ما يقول الناس فيها، يقول الراوي قلت: يقولون إنّها في القيامة، فقال عليه السلام:

«أيحشـر الله يـوم القيامـة مـن كلّ أمـة فوجـاً ويتـرك الباقين؟ إنّمـا ذلك في الرجعة، فأمّا آية القيامة فهذه: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[2]»[3].

الآية الثانية:

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[4].

معناها: إذا نزل العذاب عليهم عند اقتراب الساعة أخرجنا لهم دابّة من الأرض تكلّمهم بلسان يفهمونه. ودابّة الأرض هي أمير المؤمنين عليه السلام كما تضافرت الأخبار بذلك عندنا حيث يخرج قبل يوم القيامة، ومعه عصا موسى وخاتم سليمان فيضرب المؤمـن فيمـا بين عينيـه بالعصا، فينتقش فيهـا أنّه مؤمن حقّاً، ويسـم الكافر بين عينيه فينتقش فيه أنّه كافر حقاً. وقد ورد ذلك من كلا الفريقين حيث رووه عن عمّار وابن عبّاس وأبي هريرة والأصبغ بن نباتة.

وقد روى القمّي في تفسيره عن الصادق عليه السلام قال:

(1) سورة النمل، الآية: 83.
(2) سورة الكهف، الآية: 47.
(3) تفسير القمي، ج2، ص36.
(4) سورة النمل، الآية: 82.

«انتهى رسول الله ﷺ إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو نائم في المسجد قد جمع رملاً ووضع رأسه عليه فحرّكه برجله ثمّ قال: قم يا دابّة الله، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله يسمّي بعضنا بعضاً بهذا الاسم؟ فقال: لا والله ما هو إلّا له خاصّة، وهو الدابّة الّتي ذكرها الله في كتابه... ثمّ قال ﷺ: يا عليّ إذا كان آخر الزمان أخرجك الله في أحسن صورة ومعك ميسَمٌ تَسِمُ به أعداءك، فقال الرجل لأبي عبد الله: إنّ العامّة يقولون هذه الدابّة إنّما تكلّمهم يعني بالتخفيف من الكلم بمعنى الجرح، فقال عليه السلام: كلمهم الله في نار جهنّم إنّما هو تكلّمهم من الكلام»[1].

1. الآية الثالثة:

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ..﴾[2]. ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسيرها قال: «ما أحسب نبيّكم ﷺ إلّا سيطلع عليكم إطلاعة»[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«لا والله لا تنقضي الدنيا ولا تذهب حتّى يجتمع رسول الله ﷺ وعليّ عليه السلام بالثُّوَيَّة، فيلتقيان ويبنيان بالثُّوَيَّة (وهو موضع بالكوفة) مسجداً له اثنا عشر ألف باب»[4].

وعن الإمام السجّاد عليه السلام: «يرجع إليكم نبيّكم ﷺ وأمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام»[5].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «رحم الله جابراً بلغ من فقهه أنّه كان يعرف تأويل هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ يعني الرجعة»[6].

(1) الميزان في تفسير القرآن، ج15، ص406.
(2) سورة القصص، الآية: 85.
(3) بحار الأنوار، ص53، ص113.
(4) م.ن، ص114.
(5) تفسير القمي، ج2، ص147.
(6) م.ن.

وهناك آيات كثيرة تحدّثت وأوِّلت بالرجعة منها:

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[1].

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾[2].

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[3].

الروايات الدالّة على الرجعة

أمّا الروايات الدالّة على الرجعة فهي كثيرة وادُّعيَ فيها التواتر، نذكر منها:

ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام:

«لترجعنّ نفوس ذهبت وليقتصنّ يوم يقوم ومن عذّب يقتص بعذابه، ومن أغيظ أغاظ له بغيظه، ومن قتل اقتصّ بقتله، ويردّ لهم أعداءهم معهم حتّى يأخذوا بثأرهم، ثمّ يعمّرون بعدهم ثلاثين شهراً ثمّ يموتون في ليلة واحدة، قد أدركوا ثأرهم وشفوا أنفسهم ويصير أعداؤهم إلى أشدّ النار عذاباً، ثمّ يقفون بين يدي الجبّار عزّ وجلّ فيأخذ لهم بحقوقهم»[4].

هذه الرواية تتحدّث - بوضوح- عن أناس يرجعون ويقتصّون من قاتليهم ويثأرون منهم. وهذا الرجوع ليس يوم القيامة لأنّه في يوم القيامة يرجع ويُبعث كلّ الناس والله تعالى هو الّذي يتولّى حساب الناس بل في يوم القيامة يذهل الناس عن بعضهم بعضاً لهول المطلع:

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ

(1) سورة غافر، الآية: 11.
(2) سورة غافر، الآية: 51.
(3) سورة الأنبياء، الآية: 95.
(4) بحار الأنوار، ج53، ص4.

﴿حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[1].

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[2]. أمّا في هذه الرواية فإنّ المظلوم يقتصّ من ظالمه والمقتول يثأر من قاتله ويعيشون فترة من الزمن ثمّ يموتون ليُبعثوا بعدها يوم القيامة.

روى الحسن بن الجهم قال: قال المأمون للرضا عليه السلام: يا أبا الحسن ما تقول في الرجعة؟. قال عليه السلام: «**أنّها الحقّ قد كانت في الأمم السالفة ونطق بها القرآن وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكون في هذه الأمّة كلّ ما كان من الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة**»، وقال عليه السلام: «**إذا خرج المهديّ من ولدي نزل عيسى ابن مريم عليه السلام فصلّى خلفه**»، وقال عليه السلام: «**إنّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء، قيل يا رسول الله ثمّ يكون ماذا؟ قال: ثمّ يرجع الحقّ إلى أهله**»[3].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«**إنّي سألت الله في إسماعيل أن يبقيه بعدي فأبى، لكنّه قد أعطاني فيه منزلة أخرى أنّه يكون أوّل منشور في عشرة من أصحابه ومنهم عبد الله بن شريك وهو صاحب لوائه**»[4].

وروي عن داود الرقيّ قال: قلت للإمام الصادق عليه السلام: إنّي كبرت ودقّ عظمي أحبّ أن يختم عمري بقتل فيكم.

فقال عليه السلام: «**وما من هذا بدّ إن لم يكن في العاجلة يكون في الآجلة، أيْ في الرجعة**»[5].

(1) سورة الحج، الآية: 2.
(2) سورة عبس، الآيات: 34 ـ 37.
(3) بحار الأنوار، ج25، ص135.
(4) مختصر بصائر الدرجات، حسن بن سليمان الحلي، ص26.
(5) بحار الأنوار، ج25، ص308.

وروى الشيـخ الطوسيّ في كتاب الغيبة عـن المفضّل قال: ذكرنا القائم ومن مات من أصحابنا ينتظره فقال لنا أبو عبد الله عليه السلام:

«إذا قـام أتـى المؤمن في قبره، فيقال له يا هذا إنّـه قد ظهر صاحبك فإنّ تشأ أن تلحق به فالحق، وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربّك فأقم»[1].

وروي أيضاً عن الصادق عليه السلام قال:

«يخـرج مع القائم عليه السلام من ظهر الكوفـة سبعة وعشرون رجلاً، خمسة عشر من قـوم موسـى عليه السلام الّذين كانوا يهدون بالحقّ وبه يعدلـون وسبعة من أهل الكهف ويوشـع بن نون وسلمـان وأبو دجانة الأنصاريّ والمقـداد ومالك الأشتر فيكونون بين يديه أنصاراً وحكّاماً»[2].

وتوجد روايات كثيرة جدّاً تتحدّث عن نفس المضمون لا مجال لذكرها كلّها هنا. كما وذكرت الرجعة كثيراً في الأدعية والزيارات الواردة عن المعصومين عليهم السلام كما يأتي.

الرجعة في الأدعية والزيارات

في الزيارة الجامعة الكبيرة المشهورة المرويّة عن الإمام الهادي عليه السلام:

«ويكـرّ فـي رجعتكم ويملّك في دولتكم ويشرّف في عافيتكم ويمكّن في أيّامكم، وتقرّ عينه غداً برؤيتكم».

وفي زيارة وداع المعصومين عليهم السلام: **«ومكّنني في دولتكم، وأحياني في رجعتكم».**

وفي زيارة الأربعين: **«وأشهد أنّي بكم مؤمن وبإيابكم موقن».**

وفي زيارة الإمام الحسين عليه السلام المروية في المصباح عن الإمام الصادق عليه السلام:

«وأُشهد الله وملائكته وأنبياءه ورسله أنّي بكم مؤمن وبإيابكم موقن».

(1) الغيبة، الشيخ الطوسي، ص459.

(2) بحار الأنوار، ج53، ص90.

وفي الزيارة الجامعة الرجبية الّتي رواها ابن طاووس:

«ويرجعني من حضرتكم خير مرجع إلى جناب ممرع وخفض عيش موسع... حتّى العود إلى حضرتكم والفوز في كرّتكم».

وكذلك ما ورد في دعاء العهد في زمن الغيبة:

«اللهمّ وإن كان الموت الّذي جعلته على عبادك حتماً مقضياً فأخرجني من قبري مؤتزراً كفني شاهراً سيفي مجرّداً قناتي ملبياً دعوة الداعي في الحاضر والبادي».

زمان حدوث الرجعة

إنّ ما يستفاد من الروايات أنّ زمان الرجعة هو عند ظهور صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف لأنّ أحد أهداف الرجعة هو خروج بعض المؤمنين لنصرة صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف حين خروجه وكذلك بعض المؤمنين يخرجون حتّى يقاتلوا بين يديه ويثأروا من قاتليهم.

يقول الإمام الباقر عليه السلام:

«إذا ظهر القائم ودخل الكوفة بعث الله تعالى من ظهر الكوفة سبعين ألف صدِّيق فيكونون في أصحابه وأنصاره»[1].

وكذلك الرواية الّتي مرّت معنا عن الإمام الصادق عليه السلام:

«أنّه إذا قام أتى المؤمن قبره فيقال له يا هذا قد ظهر صاحبك فإنّ تشأ أن تلحق به فالحق»[2].

وأيضاً الحديث الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام:

(1) بحار الأنوار، ج52، ص39.

(2) الغيبة، ص459.

«إذا آن قيام القائم مُطِرَ الناس جمادى الآخرة وعشرة أيام من رجب لم تر الخلائق مثله، فينبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم، وكأنّي أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة ينفضون شعورهم من التراب»[1].

هذا بالإضافة إلى الفقرة الّتي ذكرناها من دعاء العهد في زمن الغيبة:

«فأخرجني من قبري مؤتزراً كفني».

ما هي أهداف الرجعة؟

إنّ كلّ ما يصدر عن الحكيم لا بدّ أن يكون داخل إطار الحكمة ووجود الهدف تنزيهاً له عن اللّغو والعبث، وكذلك الرجعة لا بدّ من أن تكون موافقة لقانون الحكمة ووجود الهدف من ورائها وإن خفيت عنّا بعض تلك الوجوه للحكمة نذكر بعض الأهداف الّتي نطقت بها الروايات.

1. الرجوع لنصرة الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف:

كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا قام أتي المؤمن في قبره فيقال له يا هذا إنّه قد ظهر صاحبك فإنّ تشأ أن تلحق به فالحق وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربك فأقم»[2].

2. رجوع بعض المؤمنين للاقتصاص والثأر من قاتليهم كرجوع:

- الأنبياء لنصرة الإمام عليّ عليه السلام[3].
- رجوع الإمام عليّ مع الحسين عليه السلام للانتقام من بني أميّة ومعاوية وآله ومن شهد حربه[4].
- رجوع المؤمنين للانتقام من قاتليهم، كما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام:

(1) بحار الأنوار، ج13، ص223.
(2) الغيبة، ص459.
(3) تفسير القمي، ج1، ص25، مرّ ذكر هذه الرواية.
(4) بحار الأنوار، ج53، ص74، مرّ ذكر هذه الرواية.

«ومن عُذّب يقتصّ بعذابه، ومن أغيظ أغاظ له بغيظه، ومن قُتل اقتصّ بقتله ويرد بهم أعداءهم معهم حتّى يأخذوا بثأرهم»[1].

من الّذين يرجعون؟

إن مـن المسلَّم به أنّ هناك قوماً من الّذيـن ماتوا أو استشهدوا قبل ظهور الإمام صاحـب الزمان عجل الله فرجه سيرجعون عند ظهوره المبـارك. ولكن اختلفت الروايات في أنّ عامّة المؤمنين يرجعون أم خصوص بعضهم؟

1. رجوع عامّة المؤمنين:

هناك رويات تدلّ على رجوع عامّة المؤمنين لأنّه من مات يرجع ليذوق القتل ومن قُتل يرجع ليذوق الموت كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى:

«﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ ليس أحد من المؤمنين قُتل إلّا سيرجع حتّى يموت ولا أحد من المؤمنين مات إلّا سيرجع حتّى يُقتل»[2].

2. رجوع قوم خاصّين من المؤمنين والكافرين:

كما عن الإمام الصادق عليه السلام:

«... وأنّ الرجعة ليست بعامّة وهي خاصّة لا يرجع إلّا من محّض الإيمان محضاً أو محّض الكفر محضاً»[3].

3. رجوع الإمام الحسين عليه السلام:

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«أوّل من تنشقّ الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن عليّ عليه السلام ...»[4].

(1) بحار الأنوار، ج3، ص44.
(2) م.ن، ج53، ص40.
(3) م.س، ص39.
(4) م.ن، ص39.

4. رجوع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام :

كما ورد أيضاً عن الصادق عليه السلام :

«لا والله لا تنقضي الدنيا ولا تذهب حتّى يجتمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ فيلتقيان ويبنيان بالثويّة مسجداً... وهو موضع بالكوفة»[1].

5. رجوع كلّ الأنبياء والمرسلين عليهم السلام :

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام :

«فلم يبعث الله نبيّاً ولا رسولاً إلّا ردّهم جميعاً إلى الدنيا حتّى يقاتلوا بين يدي عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام»[2].

وعلى كلّ حال لا شكّ ولا ارتياب أنّ الرجعة ثابتة، لما ورد من أحاديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة المعصومين عليهم السلام ، ولما اشتهر من أقوال العلماء الأبرار وأجمع عليه فقهاء الشيعة الأخيار، وأنه ثبت بالقطع خروج بعض الأموات من قبورهم، وأنّها من ضروريات المذهب وقد أُلّف فيها نحو خمسين مؤلّفاً. والاختلاف في عدد وخصوصيّات وصفات الراجعين لا يضرّ في صحّة ثبوت المسألة كما اختُلف في كيفية الصراط وصفات الجنّة والنار ولكنّ هذا الاختلاف لم يؤدِّ إلى نفي الثبوت وإنكار الوجود.

(1) بحار الأنوار، ج3، ص44.
(2) م.ن، ص41.

خلاصة الدرس

1. إنّ الرجعة قد ذكرت في الكثير من الأحاديث بما يقرب من مائتي رواية وقد ذكرها العظام من الرواة الثقات وادُّعي تواتر معناها.
2. وقد ورد في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ليس منّا من لم يؤمن بالرجعة**».
3. الرجعة هي عودة قوم عند قيام الإمام القائم عجل الله فرجه ممن تقدّم موتهم على قيامه من أوليائه وشيعته إلى الحياة الدنيا ليفوزوا بثواب نصرته ويكحّلوا أنظارهم بالنظر إلى جمال طلعته ويروا قيام دولته.
4. ويعود إلى الحياة أيضاً قوم من أعدائه لينتقم الله تعالى منهم لينالوا ما يستحقّون من القتل والعذاب على أيدي أصحاب الإمام الخلَّص.
5. يمكن الاستدلال على الرجعة من خلال القرآن الكريم والأحاديث الشريفة.
6. زمن الرجعة هو عند ظهور صاحب الزمان عجل الله فرجه لأن أحد أهم أهداف الرجعة هو خروج بعض المؤمنين لنصرة صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه.
7. اختلفت الروايات في أن عامة المؤمنين يرجعون أم خصوص بعضهم. ولكن المتيقن رجوع قوم خاصين ورجوع الامام الحسين وعلي والنبي الأكرم عليهم السلام.

أسئلة

1- ما هو المقصود من الرجعة؟

2- من هما الفريقان من الناس الّذين يرجعون إلى الحياة؟

3- كيف نستدلّ على الرجعة من القرآن الكريم ؟

4- كيف نستدلّ على الرجعة من الأحاديث؟

5- في أيّ زمن تكون الرجعة؟

الرجعة من المسلمات

إن الرجعة وإن كانت من مسلمات عقائد الشيعة، ولكن التشيع ليس منوطا بالاعتقاد بها، فمن أنكرها فقد أنكر عقيدة مسلمة بين أكثر الشيعة، ولكن لم يكن ركنا من أركان التشيع، ولأجل ذلك نرى أن جماعة من الشيعة أولوا الأخبار الواردة في الرجعة إلى رجوع الدولة إلى شيعتهم وأخذهم بمجاري الأمور دون رجوع أعيان الأشخاص، والباعث لهم على هذا التأويل هو عجزهم عن تصحيح القول بها نظرا واستدلالا، ولكن المحققين من الإمامية، أخذوا بظواهرها وبينوا عدم لزوم استحالة عقلية على القول بها لعموم قدرة الله على كل مقدور، وأجابوا عن الشبه الواردة عليها، وإلى هذا الاختلاف يشير الشيخ المفيد بقوله: «**واتفقت الإمامية على رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة وإن كان بينهم في معنى الرجعة اختلاف**».

ويشير إلى الاختلاف تلميذه الجليل الشريف المرتضى في المسائل التي وردت عليه من الري ومنها حول حقيقة الرجعة، فأجاب: «**بأن الذي تذهب إليه الشيعة الإمامية أن الله تعالى يعيد عند ظهور المهدي قوما ممن كان تقدم موته من شيعته، وقوما من أعدائه**».

الدرس السادس عشر

الموت والاحتضار والبرزخ

أهداف الدرس

1- أن يدرك الطالب معنى وحقيقة الموت.

2- أن يعلل سبب خوف الناس واستيحاشهم من الموت؟

3- أن يبيّن معنى البرزخ، وماذا يواجه الإنسان في القبر.

تمهيد

المـوت هو آخر أيـام الدنيا وأول منـازل الآخرة، وهو بمثابة القنطـرة الّتي يعبر عبرهـا الإنسان إلى عالم لا زيف فيه حيث تبـدو كلُّ الحقائق ماثلةً أمام العين، وهو ارتقاء لمرحلة أقوى وأشد حياة من الحياة الدنيوية المادية.

الموت في الأحاديث الشريفة

وصفت الروايات الشريفة الموت بالعديد من الأوصاف، منها:

1. الجسر:

فقد وصف النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الموت بقوله: «**الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنّاتهم وجسر هؤلاء إلى جحيمهم**»[1].

فحرية المؤمن في التخلّص من قيود الدنيا وأسرها، لعالم القرب من الله تعالى، وكلُّ مـا في الدنيا بالنسبة له بلاء وامتحان، ولذلـك كانت سجناً كبيراً. أمَّا بالنسبة للكافـر فالدنيـا هي الجنّة لأنَّه لم يعش فيها بهمٍّ سواهـا، ولم يكن يعمل لذلك اليوم الّـذي هـو أحوج ما يكون فيه لِمَـا استغلَّه في دنياه الّتي ذهبت إلـى غير رجعة، ولاتَ حين مندم.

(1) بحار الأنوار، ج 6، ص 154 .

2. القنطرة:

وتحـدّث الإمـام الحسين بن عليّ عليه السلام عن الموت فقال: «**مـا الموت إلاّ قنطرة تعبر بكم من البؤس والضّراء إلى الجنان الواسعة، والنعيم الدائم، فأيُّكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر؟**»[1].

الموت سنّةٌ عامةٌ في الخلق

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾[3].

إنَّ الموت هو الحقيقة الحتمية الّتي لا مفرّ منها لأحد، مهما علا شأنه في الدنيا، فالبشـر يموتون حتّى الأنبياء منهم، ولـو كان الخلد يحقُّ لأحد لفضلٍ استحقه، لكان الأنبيـاء صلى الله عليه وآله أحـقَّ الناس بالخلـد، وإلى هذا المعنـى أشار أميـر المؤمنين عليه السلام بالقـول: «**ولـو أنّ أحـداً يجد إلـى البقاء سلّمـاً، أو لدفـع الموت سبيـلاً، لكان ذلك سليمان بن داود** عليه السلام، **الّذي سخّر له ملك الجنّ والإنس**»[4].

ما هي حقيقة الموت؟

أكّد الله تعالى في القرآن الكريم، في أكثر من موضع، أنَّ الموت ليسَ عدماً، وإنَّما هـو انتقال من الحياة الدنيوية هذه إلى الحيـاة البرزخية الّتي تفصل ما بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة.

ولمّا كان الموت فيما أخبر عنه القرآن الكريم انفصالَ الروح عن الجسد فإنَّ كلَّ ما نراه من أمور عند موت الإنسان، كسكون القلب، وغياب الإحساس،... هذه الأمور

(1) بحار الأنوار، ج 6، ص 154.
(2) سورة الأنبياء، الآية: 34.
(3) سورة آل عمران، الآية: 185.
(4) نهج البلاغة، السيد الرضي، الخطبة 182.

وأمثالها ليست هي جوهر الموت، وإنَّما هي من عوارضه وآثاره.

وقد يؤمن أناس بأنَّ الموت هو انتهاء من الحياة إلى العدم، فأصبحت كلمة «**العدم**» تعبيراً عن الموت عندهم، ولكنَّ الموت -كما أخبرَنا عنه «**خالق الموت والحياة عزّ وجلّ**»- ليس عدَماً، بل هو انتقال الكائن الحيّ من هذه الحياة الدنيا إلى حياة البرزخ.. ومن ثمّ لما أعدّه الله له من نعيم القبر أو عذابه..

يقول الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «**أيّها الناس، إنّا خُلقنا وإيّاكم للبقاء، لا للفناء، لكنَّكم من دار إلى دار تُنقلون**»[1].

لماذا يستوحش الإنسان من الموت؟

إنَّ الإنسان محبٌّ للبقاء، وهذا ميلٌ طبيعيٌّ فيه، ويعبَّر عن ذلك بغريزة حبِّ البقاء، والناس في الحياة الدنيا إزاء الموت على قسمين:

قسم يستوحش منه لأنَّ كواهلهم مثقلة بعظائم الذنوب، فإذا فوجئوا بالموت، يلجأون إلى التوبة والإنابة، ويندمون، ولكن لاتَ ساعة مندم.

وقسم آخر، يشتاقون إلى الموت ويتلقَّونه بصدورٍ رحبة، ووجوهٍ مشرقة، وهؤلاء هم الأنبياء والأولياء والعلماء والشهداء، ومن كان يعمل صالحاً في حياته الدنيا من سائر المؤمنين.

فهذا أمير المؤمنين عليه السلام يقول في أواخر لحظات حياته: «**والله ما فاجأني من الموت واردٌ كرهته، ولا طالعٌ أنكرته، وما كنت إلا كقاربٍ وَرَدَ، وطالبٍ وَجَدَ،وما عند الله خير للأبرار**»[2].

ويقول عليه السلام: «**والله، لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمّه**»[3].

(1) الإرشاد، الشيخ المفيد، ص 127.
(2) مروج الذهب، المسعودي، ج2، ص436.
(3) نهج البلاغة، السيد الرضي، الخطبة 5.

ما يهوِّن سكرات الموت

يقول الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[1].

وهـذه العقبة صعبة جـداً وإنَّ شدائدها وصعوباتها تحيـط بالمحتضر من جميع الجهات. وممّا يهون سكرات الموت على الميّت:

1. صلة الرحم:

عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

«مَـن أحـبَّ أن يخفِّـف الله عزَّ وجلَّ عنـه سكرات الموت فليكـن لقرابته وَصولاً، وبوالديـه بـارّاً، فإذا كان كذلك هوَّن الله عليه سكـرات الموت ولم يصبه في حياته فقرٌ أبداً»[2].

2. برّ الوالدين:

روي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حضر شاباً عند وفاته فقال له: «**قل: لا إله إلاّ الله.**

قال: فاعتقل لسانه مراراً.

فقال لامرأة عند رأسه: هل لهذا أمّ؟

قالت: نعم أنا أمُّه.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: أفساخطةٌ أنت عليه؟

قالت: نعم ما كَلَّمتُهُ مُنذُ ستّ حجج.

قال صلى الله عليه وآله وسلم لها: إرضي عنه.

قالت: رضي الله عنه يا رسول الله برضاك عنه.

(1) سورة ق، الآية: 19.

(2) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص318.

فقال له رسول الله ﷺ: قل: لا إله إلاّ الله.

فقالها. فقال له النبيّ ﷺ: ما ترى؟

قال: أرى رجلاً أسود الوجه قبيح المنظر وسخ الثياب منتن الريح قد وليني الساعة، وأخذ بكَظمَيّ[1].

فقال له النبيّ ﷺ قل: يا من يقبل اليسير ويعفو عن الكثير اقبل منّي اليسير واعف عنّي الكثير إنّك الغفور الرحيم.

فقالها الشابّ. فقال له النبيّ ﷺ: انظر ماذا ترى؟

قال: أرى رجلاً أبيض اللون حسن الوجه طيّب الريح حسن الثياب قد وليني، وأرى الأسود قد تولى عنّي.

فقال له: أعدْ، فأعاد. فقال له: ما ترى؟

قال: لست أرى الأسود، وأرى الأبيض قد وليني.

ثمّ طفي على تلك الحال»[2].

3. كسوة المؤمن:

عن الإمام الصادق عليه السلام:

«مَن كسا أخاه كسوة شتاء أو صيف كان حقًّا على الله أن يكسوه من ثياب الجنّة، وأن يهوّن عليه سكرات الموت وأن يوسع عليه في قبره»[3].

4. قراءة سورة الزلزلة:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تملُّوا من قراءة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ فإنّه

(1) الكظم – كقفل ومحركة – الحلق ومخرج النفس، يقال: أخذ بكظمه: أي مخرج نفسه. والمراد أنه أكربه.

(2) الأمالي، ج1، ص 62 – 63.

(3) الكافي، ج2، ص204.

مـن كانـت قراءته بها في نوافله لم يصبه الله عـزَّ وجلَّ بزلزلة أبداً، ولم يمت بها، ولا بصاعقـة ولا بآفّـة من آفّـات الدنيا حتّى يموت، وإذا مات نـزل عليه ملكٌ كريم مـن عنـد ربِّـه فيقعد عند رأسـه فيقول: يـا ملك الموت ارفـق بولـيّ الله فإنَّه كان كثيـراً يذكرنـي ويذكر تلاوة هذه السورة، وتقول له السورة مثل ذلك ويقول ملك المـوت: قـد أمرنـي ربّـي أن أسمع لـه وأطيع ولا أخـرج روحه حتّـى يأمرني بذلك فـإذا أمرنـي أخرجت روحه، ولا يـزال ملك الموت عنده حتّى تأمـره بقبض روحه وإذا كشـف لـه الغطاء فيرى منازله في الجنّة فيخرج روحه من ألين ما يكون من العلاج، ثمّ يشيِّع روحه إلى الجنَّة سبعونَ ألف ملكٍ يبتدرون بها إلى الجنَّة»[1].

البرزخ

البرزخ في اللغة: (الحاجز والحدُّ بين الشيئين).

والبرزخ ما بين الدنيا والآخرة: قبل الحشر من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ[2].

وقد تحدّث القرآن الكريم عن البرزخ في قوله سبحانه ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[3]. وفُسِّر بأنّه الفترة ما بين الموت والقيامة.

روي عـن الإمام الصادق عليه السلام: «**ولكنِّـي والله أتخوَّف عليكم من البرزخ، قلت: وما البرزخ؟ قال: القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة**»[4].

بقاء الروح في عالم البرزخ

تحدّثـت الروايـات الواردة عن الرسـول الكريم محمّـد صلى الله عليه وآله وسلم، والأئمّة الهداة عن مرحلة البرزخ، وما ينتظر الإنسان ويواجهه في ذلك العالم المذهل الغريب.

(1) الكافي، ج2، ص 626.
(2) لسان العرب، ابن منظور، ج3، مادة برزخ، ص 8.
(3) سورة المؤمنون، الآية: 100.
(4) الكافي، ج 3، ص 242.

والتسليم بعالم البرزخ يتوقّف على الإيمان بوجود الروح وبقائها حيَّةً بعد انفصالها عن البدن، ذلك لأنَّ النعيم والعذاب المتحقّقَيْن في هذه المرحلة هما نعيم أو عذاب تتلقّاهُ الروحُ حتّى يوم البعث والنشور والمعاد الجسمانيّ، كما استفاد علماء الإسلام ذلك من الآيات والروايات الواردة في هذا الشأن.

فمن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

فتلك الآيات الكريمة تتحدّث عن حياة الشهداء بعد انفصال أرواحهم عن أجسادها في عالم النعيم والجزاء الإلهيّ السارّ. والآيات هذه صريحة كلَّ الصراحة في بقاء الأرواح بعد مفارقتها الأبدان. وهذا العالم كما توضِّحه الروايات هو قبل عالم البعث والنشور والمعاد الجسمانيّ.

تكوُّن الأرواح في أبدان مثاليَّة

وما يستنتجه التأمّل في الروايات تعلّقُ الروح بأبدانٍ تماثل الأبدان الدنيوية، لكن بلطافةٍ تناسب الحياة في تلك النَشأة. وقد أوضح الإمام الصادق عليه السلام كيفية بقاء الروح في عالم البرزخ، فقد روي عنه عليه السلام: «... **فإذا قبضه الله عزّ وجلّ صيَّر تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا، فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة الّتي كانت في الدنيا**»[2].

ضغطة القبر

تفيد الروايات والبيانات أنَّ الروح تعود إلى الجسد بعد الدفن، ليواجه الإنسان

(1) سورة آل عمران، الآيات: 169 ـ 171.

(2) الكافي، ج3، ص242.

ضغطة القبر والمساءلة فيه من قبل الملائكة المكلّفين بذلك.

وورد أيضاً في وصف هذه الضغطة وشدَّتها أنَّ الميِّت يتعرَّض إلى ضمَّة الأرض، إلى الحدّ الّذي تُفري لحمه، وتطحن دماغه، وتذيب دهونه، وتخلط أضلاعه، وتكون بسبب النميمة وسوء الخلق مع الأهل، وكثرة الكلام، والتهاون في أمر الطهارة، وقلَّما يسلم منها أحد، إلاّ من استوفى شرط الإيمان، وبلغ درجات الكمال.

وضغطة القبر هذه لا يسلم منها إلاّ قليل من الصالحين، غير أنَّها درجات في الشدّة والألم والتخفيف، متناسبة مع عمل المرء ودينه.

فقد روي عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيفلت من ضغطة القبر أحد؟ فقال عليه السلام: «**نعوذ بالله منها، ما أقلَّ من يفلت من ضغطة القبر..!**»[1].

المُنجيات من ضَغطَةِ القَبر

للنَّجاة من ضغطة القبر الكثير من الأعمال الّتي حدّثتنا عنها روايات أهل البيت عليهم السلام. ولكن علينا أن لا ننسى دائماً أن لا شفيع للمرء خيرٌ من عمله الصالح. وسنذكر عدة من الأعمال الّتي ذكرتها الروايات، منها:

1. قراءة سورة النساء:

رُوِيَ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«**مَن قرأ سورة النساء في كلّ جمعة أُومِنَ من ضغطة القبر**»[2].

2. قراءة سورة الزخرف:

فقد رُوِيَ عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «**مَن أدمَنَ قراءة «حم» الزخرف آمنه الله في قبره من هَوامِّ الأرض وضغطة القبر**»[3].

(1) الكافي، ج7، ص198.
(2) ثواب الأعمال، الصدوق، ص 131.
(3) م. ن. ص 141.

3. قراءة سورة القلم:

رُوِيَ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**مَن قرأ سورة ن والقلم في فريضة أو نافلة... وأعاذه الله إذا مات من ضمَّة القبر**»[1].

4. صلاة الليل:

فقد رُوِيَ عن الإمام الرضا عليه السلام أنَّه قال: «**عليكم بصلاة الليل، فما من عبد يقوم آخر الليل فيصلّي ثمان ركعات، وركعتي الشفع، وركعة الوتر، واستغفر الله في قنوته سبعين مرّةً إلاّ أجير من عذاب القبر ومن عذاب النار، ومُدَّ له في عمره، ووسّع عليه في معيشته**»[2].

5. الدعاء:

قراءة الدعاء، ومنه دعاء: «**أعددت لكلِّ هول لا إله إلا الله، ولكلِّ همٍّ وغمٍّ ما شاء الله، ولكلِّ نعمة الحمد لله، ولكلِّ رخاء الشكر لله، ولكلِّ أعجوبة سبحان الله، ولكلِّ ذنب أستغفر الله، ولكلِّ مصيبة إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ولكلِّ ضيقٍ حسبيَ الله، ولكلِّ قضاء وقدر توكّلتُ على الله، ولكلِّ عدوّ اعتصمت بالله، ولكلِّ طاعة ومعصية لا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم**» عشر مرات، وهو دعاء مرويٌّ عن النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم[3].

السؤال في القبر

إنَّ السؤال في القبر، وما يستتبع من الرحمة أو العذاب، من الأمور المسلّمة عند أئمة أهل البيت عليهم السلام. فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**من أنكر ثلاثة أشياء، فليس من شيعتنا: المعراج، والمُساءلة في القبر، والشَّفاعة**»[4].

(1) ثواب الأعمال، ص147.
(2) بحار الأنوار، ج 87، ص، 161.
(3) م. س. ج 84، ص 5.
(4) م. س. ج 6، ص 223.

فعندما يودَعُ بدن الإنسان في القبر، يبعث الله تعالى إلى الميِّت وهو في قبره ملكين، وهما منكر ونكير، فيقعدانه ويسألانه عن ربِّه الّذي كان يعبده، ودينه الّذي كان يدين به، ونبيِّه الّذي أُرسل إليه، وكتابه الّذي كان يتلوه، وإمامه الّذي كان يتولاّه، وعمره فيما أفناه، وماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، فإن أجاب بالحقِّ استقبلته الملائكة بالروح والريحان، وبشَّرته بالجنَّة والرضوان، وفسحت له في قبره مدّ البصر، وإن تلجلج لسانه وعيي عن الجواب، أو أجاب بغير الحقِّ، أو لم يدرِ ما يقول، استقبلته الملائكة بنُزلٍ من حميم وتصلية جحيم، وبشَّرته بالنَّار.

ما يدخل مع الإنسان في قبره

يستفاد من الروايات الشريفة أنَّ الأعمال الّتي يرتكبها الإنسان تتجسّم معه في قبره، ومن جملة ما قال ﷺ: «**لا بدّ لك يا قيس من قرين يُدفن معك وهو حيّ، وتدفن معه وأنت ميِّت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك، ثمَّ لا يحشر إلاّ معك ولا تُبعث إلاّ معه، ولا تُسأل إلاّ عنه، فلا تجعله إلاّ صالحاً، فإنّه إن صلح أنَستَ به، وإن فسد لا تستوحش إلاّ منه، وهو فعلك**»[1].

ما ينفع الميِّت في قبره

إنَّه وإن غيَّب الموت الأهل والأحباب والأقارب والمؤمنين، فإنَّ التواصل لا ينقطع بالمطلق بيننا وبينهم، بل تبقى روابط الخير والبرِّ تفعل فعلها، فتزيل كرباً عنهم، وتوسع عليهم في قبورهم، كما دلّت على ذلك الروايات الشريفة، ففي الخبر: كان الموتى يأتون في كلّ جمعة من شهر رمضان فيقفون، وينادي كلّ واحد منهم بصوت حزين باكياً: يا أهلاه! يا ولداه! ويا قرابتاه! اعطفوا علينا بشيء يرحمكم الله واذكرونا ولا تنسونا بالدعاء - إلى أن يقول-:

(1) بحار الأنوار، ج 7، ص 229.

فيـا عبـاد اللّه! اسمعوا كلامنا ولا تنسونا فإنّكم ستعلمـون غداً فإنّ الفضول الّتي في أيديكم كانت في أيدينا فكنّا لا ننفق في طاعة اللّه، ومنعنا عن الحقّ، فصار وبالاً علينا ومنفعةً لغيرنا. اعطفوا علينا بدرهم أو رغيف أو بكسرة.

ثـمّ ينادون: ما أسرع ما تبكـون على أنفسكم ولا ينفعكم كما نحن نبكي ولا ينفعنا فاجتهدوا قبل أن تكونوا مثلنا[1].

ويلحـق الميِّـت في قبـره ما يفعل مـن الخير من أقاربـه، ويهدى إليه مـن أحبته الأحيـاء، فعـن رسول اللّه ﷺ أنّه قـال: «**أهدوا لموتاكم**». فقلنـا: يا رسول اللّه وما هديّة الأموات؟ قال ﷺ: «**الصدقة والدعاء**»[2].

(1) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري ، ج 2، ص 163.

(2) م.ن، ج2، ص 484.

خلاصة الدرس

1. الموت هو آخر أيام الدنيا وأول منازل الآخرة، وهو بمثابة القنطرة الّتي يعبر عبرها الإنسان من مكان إلى آخر.
2. إنّ الإنسان محبٌّ للبقاء، وهذا ميلٌ طبيعيٌّ فيه، ويُعبَّر عن ذلك بغريزة حبِّ البقاء، والناس في العلاقة مع الموت على حالتين:
3. فئة يخافون الموت لأنّ كواهلهم مثقلة بعظائم الذنوب وفئة يشتاقون إلى الموت ويتلقَّونه بصدور رحبة، ووجوه مشرقة، وهؤلاء هم الأنبياء والأولياء والعلماء والشهداء، ومن كان يعمل صالحاً في حياته الدنيا.
4. سكرات الموت عقبة صعبة جداً وإنَّ شدائدها وصعوباتها تحيط بالمحتضر من جميع الجهات وللتخفيف من سكرات الموت، وإبعاد شبح العديلة ورد الكثير من الأعمال والأدعية على الإنسان المؤمن أن يواظب عليها.
5. ـ البرزخ ما بين الدنيا والآخرة: قبل الحشر من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ.
6. الإنسان يواجه في لحظة دخوله القبر، وحتّى يوم القيامة، أموراً هي كالآتي:

1- وحشة القبر

2- ضغطة القبر

3- المساءلة في القبر

أسئلة

1- ما المقصود بأنَّ الموت قنطرة ؟

2- لمَ يخاف بعض الناس من الموت ؟

3- كيف نخفِّف من سكرات الموت؟

4- ما المراد بعالم البرزخ؟

5- ما هي ضغطة القبر ولمن تكون؟

6- الناس في المساءلة على أنواع ثلاث، فما هي؟

للمطالعة

روي عن أبي بصير قال: قُلتُ لأبي عبد الله عليه السلام : جُعلتُ فداك يُستكره المؤمنُ على خروجِ نفسه؟

قال: لا واللّه.

قال: قلتُ: وكيفَ ذاك؟

قال: إنَّ المؤمنَ إذا حضرتْه الوفاةُ حضرَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وأهلُ بيته: أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب، وفاطمة، والحسنُ والحسينُ، وجميعُ الأئمّة عليهم السلام ، ولكنْ أكنُّوا عن اسم فاطمة ويحضره جبرئيل وميكائيلُ وإسرافيلُ وعزرائيلُ».

قالَ: فيقولُ أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام : يا رسولَ الله إنّه كانَ ممّنْ يحبّنا ويتولاّنا فأحبَّهُ. قال: فيقولُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله : يا جبرئيل إنّه ممّنْ كانَ يحبُّ علياً وذرّيَّتَهُ فأحبّهُ، وقالَ جبرئيلُ لميكائيل وإسرافيل مثلَ ذلك. ثمَّ يقولون جميعاً لملكِ الموتِ: إنّه ممّن كانَ يحبّ محمّداً وآله ويتولَّى عليّاً وذرّيّتَهُ فارفقْ به.

قال: فيقولُ مَلَكُ الموت: والّذي اختاركم وكَرّمكم واصطفى محمّداً ﷺ بالنبوّة، وخَصّهُ بالرِّسالة، لأنَا أَرفقُ به من والد رفيق، وأشفقُ عليه من أخ شفيق.

ثـمّ قامَ إليه ملـكُ الموت فيقول: يا عبـدَ اللّه أخذتَ فكاك رقبتـكَ؟ أَخَذْتَ رَهْنَ أَمانكَ؟

فيقولُ: نَعَم. فيقولُ ملكُ الموت: فبماذا؟ فيقول: بحبّي محمّداً وآله، وبولايتي علي بن أبي طالب وذرّيَّته.

فيقـول: أمّـا ما كنتَ تحذرُ فقد آمنك اللّهُ منه، وأمّـا ما كنتَ تَرجو فقد أتاكَ اللّهُ به. إفتحْ عينيكَ فانظرْ إلى ما عندك.

قـال: فيفتح عينيـه فينظرُ إليهم واحـداً واحداً، ويُفتحُ له بابٌ إلـى الجنّة فينظر إليها. فيقولُ له: هذا ما أَعَدَّ اللّه لكَ، وهؤلاء رفقاؤك، أفَتحبّ اللحاقَ بهم أو الرجوعَ إلى الدنيا؟ قال: فقال أبو عبد اللّه عليه السلام: أمَا رَأيتَ شُخوصَهُ وَرَفْعَ حاجبيْه إلى فوق مـن قوله: لاَ حاجةَ لي إلـي الدُّنيا ولا الرجوع إليها. وينـاديه منـاد من بطنان العرش يسمعـه ويسمع مـن بحضرته: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ إلى مُحَمَّـد وَ وَصيِّه والأئمة منْ بَعْـده ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً﴾ بالْولايَة، ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ بالثَّـوَاب، ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ مَعَ مُحَمَّدٍ وَ أَهْلِ بَيْتِه ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ غَيْرَ مَشُوبَة»[1].

(1) بحار الأنوار، ج6، ص163.

الدرس السابع عشر

الخروج من القبر وصحائف الأعمال

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى بعض ما يحصل عند الخروج من القبر.

2- أن يبيّن الفرق بين الحشر والنشر.

3- أن يذكر الطالب معنى صحائف الأعمال وصفتها.

تمهيد

يقول سبحانه في النفخة الثانية وهي نفخة الإحياء ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[1].

إنَّ ساعة خروج الإنسان من القبر هي إحدى الساعات الثلاث الّتي اعتبرتها الروايات الشريفة من أصعب وأوحش الساعات على أبناء آدم، فقد جاء في الرواية عن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: «**إنَّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد ويخرج من بطن أمه فيرى الدنيا. ويوم يموت فيرى الآخرة وأهلها ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا. وقد سلّم الله عزّ وجلّ على يحيى في هذه الثلاثة المواطن، وآمن روعته فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾[2]، وقد سلَّم عيسى بن مريم عليه السلام على نفسه في هذه المواطن الثلاثة فقال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[3]**»[4].

(1) سورة يس، الآيتان: 51 و 52.
(2) سورة مريم، الآية: 15.
(3) سورة مريم، الآية: 33.
(4) بحار الأنوار، ج 6، ص 158.

وروِيَ عن الإمام عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام «**أشدّ ساعات ابن آدم ثلاث ساعات: الساعة الّتي يعاين فيها ملك الموت، والساعة الّتي يقوم فيها من قبره، والساعة الّتي يقف فيها بين يدي الله تبارك وتعالى، فإمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النار**»[1].

الفرق بين الحشر والنشر

الحشر لغة: إخراج الجماعة عن مقرِّهم، وإزعاجهم، وسوقهم إلى الحرب، ونحوها.

والنشر لغة: نشر الغنم أي بثّه[2].

فالحشر خُصَّ في عرف الشرع بإخراج الموتى من قبورهم، وسوقهم إلى الموقف للحساب والجزاء. والنشر إحياء الميِّت بعد موته، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾[3] أي أحياه.

وفي الدعاء: «**وارحمني في حشري ونشري**»[4].

فعند النشر تعود الأرواح إلى أجسادها، وبعد أن تنبت الأجساد يأمر الله إسرافيل فينفخ في الصور، فتعود الأرواح إلى أجسادها، تدخل كلُّ روح في جسدها، فيقوم الناس فينفضون التراب عن رؤوسهم.

والبعث والحشر حق ثابت بالكتاب والسنّة وإجماع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾[5].

من يحشر؟

يحشر الله الخلق جميعاً، ولا يتخلّف أحد، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ

(1) م. س.ج 6، ص 159.
(2) المصباح المنير، الفيومي، مادة (نشر).
(3) سورة عبس، الآية: 22.
(4) الصحيفة السجّادية، ص 226.
(5) سورة التغابن، الآية: 7.

وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴾[1].

فلا يتخلّف مخلوق، فلقد أحصى اللّه الخلق من لدن آدم إلى آخر رجل قامت عليه القيامة، فهم ينطلقون جميعاً وراء هذا الداعي الكريم الّذي جاء ليقود الخلق جميعاً إلى المحشر.

الأزواج الثلاثة

الناس يومئذ على ثلاثة أقسام:

يقول سبحانه: ﴿ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ﴾[2].

أطلق عليها لفظ أزواج لكون أصناف الناس في القيامة والحشر والنشر متقارنة مع بعضها بعضاً.

وحول القسم الأوّل يحدّثنا القرآن الكريم بقوله: ﴿ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴾[3]. والمقصود من أصحاب الميمنة هم الأشخاص الّذين يعطون صحيفة أعمالهم بأيديهم اليمنى، أو أنَّ كلمة (ميمنة) من مادّة (يمن) الّتي أخذت من معنى السعادة، وعلى هذا التّفسير فإنَّ القسم الأوّل هم طائفة السعداء وأهل الحبور والسرور.

أمَّا المجموعة الثانية فهم أصحاب المشأمة، قال تعالى: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴾[4]، حيث الشؤم والتعاسة، وتسلّم صحائف أعمالهم بأيديهم اليسرى الّتي هي رمز سوء عاقبتهم وعظيم جرمهم وجنايتهم.

(1) سورة مريم، الآيات: 93 و95.
(2) سورة الواقعة، الآية: 7.
(3) سورة الواقعة، الآية: 8.
(4) سورة الواقعة، الآية: 9.

أمَّـا المجموعة الثالثـة فقد أشار إليها بقولـه سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[1].

(السابقـون) ليسـوا الّذين سبقوا غيرهم بالإيمان فحسـب، بل في أعمال الخير والأخـلاق والإخلاص، فهم أسـوة وقدوة وقادة للناس. وهذه الكلمـة (السابقون) تشمل جميع هذه الأعمال، والطاعات وغيرها.

وجـاء في الحديـث أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون مـن السابقون إلى ظلِّ الله فـي يـوم القيامة؟**» فقال أصحابـه: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: «**الذيـن إذا أعطوا الحقَّ قبلوه، وإذا سألوه بذلوه، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم**»[2].

وجاء في بعض الرّوايات أيضاً أنّ المقصود بـ (السابقون) هم الأنبياء المرسلون وغير المرسلين.

وعـن ابن عبّاس أنَّه قال: سألت رسول الله ﷺ حول هذه الآية فقال ﷺ: «**هكذا أخبرنـي جبرائيـل، ذلك عليٌّ وشيعته، هم السابقون إلى الجنّة، المقرّبون من الله لكرامته لهم**»[3]. وفي أحوال الناس يوم الحشر قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«**وذلـك يـومٌ يَجمَعُ الله فيه الأوّلين والآخرين لنقاش الحساب وَجزاء الأعمال خُضُوعـاً قيامـاً قد ألجَمَهُـمُ العَرَقُ وَرَجَفَـت بِهِمَ الأرض فأحسنهـم حالاً من وجَدَ لقَدَميه مَوضعاً وَلنَفسه مَتَّسعاً**»[4].

صحائف الأعمال

نَشر الصحف هو أحد الحوادث المهمَّة الّتي تحدث في يوم القيامة، وفيه تتطاير الكتـب، وَتَطَايُرُ الكتـبِ يعني: فتح صحائـف الأعمال ونشرها، فحينهـا ينشغل فيها

(1) سورة الواقعة، الآيات: 10 ـ 12.
(2) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج 17، ص 449.
(3) بحار الأنوار، ج24، ص4.
(4) نهج البلاغة، السيد الرضي، ج 1، ص 196.

الإنسان عن أهله وأقاربه وأحبابه وأصدقائه، يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[1].

ويخبر الله تعالى في القرآن الكريم عن تطاير الصحف ونشرها بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾[2].

وقال تعالى ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[3].

صفة صحيفة الأعمال

للمتأمّل فيما ورد من الروايات والآيات القرآنية الكريمة أن يلاحظ عدة صفات أساسية لهذه الصحف الّتي ستنشر منها:

1. الدقّة في الإحصاء:

وهذا الكتاب الّذي يتلقّاه الإنسان كتاب دقيق، وفيه إحصاءٌ شامل متكامل لكلِّ ما صدر عنه، قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾[4].

وسبب الدقّة في التدوين، هو أنَّ الله تعالى قد أوكل ملائكة تحصي على الناس جميع الأعمال الظاهريّة والباطنيّة، فعن أمير المؤمنين ومولى الموحّدين عليه السلام في دعاء كميل بن زياد: «**وَكُلَّ سَيِّئَةٍ أَمَرْتَ بِإِثْبَاتِهَا الكِرَامَ الكَاتِبِينَ الَّذِينَ وَكَّلْتَهُمْ بِحِفْظِ مَا يَكُونُ مِنِّي وَجَعَلْتَهُمْ شُهُوداً عَلَيَّ مَعَ جَوَارِحِي**».

وليس هذا فحسب، بل إنَّ الله تعالى هو الرقيب من ورائهم.

«**وَكُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيَّ مِنْ وَرَائِهِمْ وَالشَّاهِدَ لِمَا خَفِيَ عَنْهُمْ**».

(1) سورة عبس، الآيات: 34 – 37.
(2) سورة التكوير، الآية: 10.
(3) سورة الإسراء، الآيتان: 13و 14.
(4) سورة القمر، الآيتان: 52 و53.

ويقـول الله تعالـى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1]، فهو الّذي لا يشغله شيء عن شيء، ويسمع الأنين والشكوى ويعلم السرَّ وأخفى.

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**ونستغفره ممّا أحاط به علمه وأحصاه كتابه، علم غير قاصر وكتاب غير مغادر**»[2].

2. الحجّة القاطعة:

إنَّ حجّـة الكتـاب قاطعة، بحيث لا يرتاب فيها قارئه، ولـو كان هو المجرم نفسه، وكيف لا وفيه معاينة نفس العمل وبه الجزاء؟ قال تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3].

3. شموله للحسنات وللسيئات:

تـدوَّن في الكتاب كلُّ أعمال الإنسان، سواء كانـت حسنة أم قبيحة، فليس الكتاب إلّا مجرد إحصاء لأعمـال الإنسان كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4].

فالـذي بنـى مسجداً سيدوَّن في كتابـه بناء مسجد، وتسجَّل لـه الحسنات طالما هنـاك من يصلّي في المسجد، وكذلك هو حال من يدوّن كتاباً، أو يشيّد جسراً لعبور النـاس، وهذا ما يعبَّر عنه بالصدقات الجارية. وقـد جاء في الرواية عن رسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ عَنْ ثَلاَثٍ، وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَصَدَقَةٌ جَارِيَةٌ**»[5].

(1) سورة المجادلة، الآية: 6.
(2) نهج البلاغة، السيد الرضي، خطبة 114.
(3) سورة التحريم، الآية: 7.
(4) سورة الجاثية، الآية: 29.
(5) مستدرك سفينة البحار، ج 9، ص 469.

و تدوَّن في صحيفة العمل أعمال كثيرة لم يقم بها بنفسه، وهي الأعمال الّتي يقوم بها الناس إثر ترغيبه إيّاهم في القيام بها.

عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام في تفسير الآية الشريفة: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[1]، قال عليه السلام: «**بما قدَّم من خير وشرٍّ وما أخَّر فيما سَنَّ من سُنَّة ليُستَنَّ بها من بَعْده، فإن كان شرًّا كان عليه مثْل وزْرهم ولا يُنْقص من وزْرهم شيئًا، وإن كان خيرًا كان له مثْل أُجورهم ولا يُنْقص من أُجورهم شيئًا**»[2].

كيف يرى الإنسان عمله؟

عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «**إذا كان يوم القيامة دُفع إلى الإنسان كتابه، ثمّ قيل له: اقرأه. قيل: فيعرف ما فيه؟، فقال عليه السلام: إنّه يذكره، فما من لحظة ولا كلمة ولا نقل قدم ولا شيء فعله إلّا ذكره، كأنَّه فعله تلك الساعة، فلذلك قالوا:** ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾[3]»[4].

هو موقف لا يذكر فيه أحدٌ أحداً

فهو موقف لشدَّة وقعه على النفوس، وما يصاب به المرء من الانشغال بنفسه وعمله، وما سيؤول إليه أمره، ينسى كلَّ من كان يهتمُّ لأمره في الدنيا، جاء في الحديث النبوي: «**أمَّا في ثلاثة مواطن فلا يذكرُ أحدٌ أحداً: عند الميزان، حتّى يعلم أيخفُّ ميزانه أم يثقل، وعند الكتاب حين يقال:** ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾[5]، **حتّى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم، حافتاه كلاليب كثيرة وحسك كثيرة، يحبس الله بها من يشاء من خلقه حتّى يعلم أينجو أم لا**»[6].

(1) سورة القيامة، الآية: 13.
(2) تفسير القمي، ج 2، ص 397.
(3) سورة الكهف، الآية: 49.
(4) بحار الأنوار، ج 7 ، ص 315.
(5) سورة الحاقة، الآية: 19.
(6) كنز العمال، المتقي الهندي، ج 14، ص 382.

حبّ أهل البيت عليهم السلام نافع في ذلك الموقف

وحبُّ أهل البيت عليهم السلام يظهر أثره في الآخرة في مواطن الخوف والفزع الأكبر، ففي الرواية عن جابر عن الرسول المصطفى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**من رزقه الله حبَّ الأئمة من أهل بيتي، فقد أصاب خير الدنيا والآخرة.. فلا يشكّنَّ أحدٌ أنَّه في الجنّة، فإنَّ في حبِّ أهل بيتي عشرين خصلة: عشرٌ منها في الدنيا، وعشرٌ في الآخرة، أمّا الّتي في الدنيا فالزهد، والحرص على العمل، والورع في الدين، والرغبة في العبادة، والتوبة قبل الموت، والنشاط في قيام الليل، واليأس ممّا في أيدي الناس، والحفظ لأمر الله ونهيه عزَّ وجلَّ، والتاسعة بغض الدنيا، والعاشرة السخاء، وأمَّا في الآخرة: فلا يُنشر له ديوان، ولا يُنصب له ميزان، ويُعطى كتابه بيمينه، ويُكتب له براءة من النار، ويبيّض وجهه، ويُكسى من حلل الجنة، ويشفّع في مائة من أهل بيته، وينظر الله عزّ وجلّ إليه بالرَّحمة، ويُتوَّج من تيجان الجنّة، والعاشرة يدخل الجنَّة بغير حساب، فطوبى لمحبِّ أهل بيتي**»[1].

كتاب للأمم أيضاً

وفي يوم القيامة تُنشَر صحف الأعمال، فيخرج الله سبحانه لكلّ أُمّة كتاباً ينطق بجميع أقوالهم وحقائق أفعالهم، قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

(1) بحار الأنوار، ج 27، ص 163.

(2) سورة الجاثية، الآيتان: 28 29.

خلاصة الدرس

1. إنَّ ساعة خروج الإنسان من القبر هي إحدى الساعات الثلاث الّتي اعتبرتها الروايات الشريفة من أصعب وأوحش الساعات على أبناء آدم.
2. الحشر إخراج الموتى من قبورهم، وسوقهم إلى الموقف للحساب والجزاء، والنشر إحياء الميت بعد موته.
3. الناس يومئذ على ثلاثة أقسام: أصحاب الميمنة، أصحاب المشأمة، السابقون.
4. نَشرُ الصحف هو أحد الحوادث المهمَّة الّتي تحدث في يوم القيامة، وفيه تتطاير الكتب، وتَطَايُرُ الكتب يعني: فتح صحائف الأعمال ونشرها، فحينها ينشغل فيها الإنسان عن أهله وأقاربه وأحبابه وأصدقائه.
5. لهذه الصحف الّتي ستنشر ميِّزات، منها:
   - الدقّة في الإحصاء
   - الحجَّة القاطعة
   - شمولها للحسنات وللسيئات
6. حبُّ أهل البيت عليهم السلام يظهر أثره في الآخرة في مواطن الخوف والفزع الأكبر.
7. وفي يوم القيامة تُنشَر صحف الأعمال، فيخرج الله سبحانه لكلّ أُمّةٍ كتاباً ينطق بجميع أقوالهم وحقائق أفعالهم.

أسئلة

1- ما الفرق بين الحشر والنشر؟

2- ماذا يعني نشر الصحف؟

3- ما هي مميزات صحيفة الأعمال؟

4- ما هو المراد من كتاب أعمال الأمم؟

للمطالعة

عن أبي عبد الله عليه السلام

كان عليُّ بن الحسين عليه السلام إذا أذنب العبد والأمَة يكتب عنده: أذنَبَ فُلانٌ، أذنَبَت فلانة يوم كذا وكذا، ولم يعاقبه، فيجتمع عليهم الأدب، حتّى إذا كان آخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله، ثمَّ أظهر الكتاب، ثمَّ قال: يا فلان فعلت كذا وكذا، ولم أُؤدّبك أتذكر ذلك؟

فيقول: بلى يا بن رسول الله.

حتّى يأتي على آخرهم...

ثمّ يقوم وسطهم، ويقول لهم: ارفعوا أصواتكم، وقولوا: يا عليُّ بن الحسين إنَّ ربَّك قد أحصى عليك كلَّ ما عملت، كما أحصيت علينا كلَّ ما عملنا، ولديه كتاب ينطق عليك بالحقّ لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً مما أتيت إلاَّ أحصاها، وتجد كلّ ما عملتَ لديه حاضراً، كما وجدنا كلّ ما عملنا لديك حاضراً، فاعفُ عنَّا تجده عفوّاً، وبك رحيماً، ولك غفوراً، ولا يظلم ربُّك أحداً، كما لديك كتاب ينطق علينا بالحقّ لا يغادر صغيرةً ولا كبيرة مما أتيناها إلاّ أحصاها، فاذكر يا عليُّ بن الحسين ذُلَّ مقامك بين يَدي ربّك الحكم العدل الّذي لا يظلم مثقال حبّةٍ من خردل، ويأتي بها

يوم القيامــة، وكفى بالله حسيباً وشهيداً، فاعفُ واصفَح يعفُ عنك المليك ويصفح، فإنّه يقول: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

قــال: وهو ينــادي بذلك على نفسه، ويلقّنهم، وهم ينــادون معه، وهو واقفٌ بينهم يبكــي وينوح ويقول: ربّ إنَّــك أمرتنا أن نعفو عمّن ظلمنا فقــد ظلمنا أنفسنا، فنحن قــد عفونا عمّن ظلمنا كما أمرت، فاعف عنَّا فإنّك أولــى بذلك منَّا ومن المأمورين، وأمرتنــا أنْ لا نَرُدّ سائلاً عــن أبوابنا وقد أتيناك سؤّالاً ومساكين، وقد أنخنا بفنائك وبِبَابــك نَطلُــب نَائلــك ومعرُوفَــك وعطاءَك فامنــن بذلك علينــا ولا تخيِّبنَــا، فإنَّك أولــى بذلك منَّــا ومِنَ المأمورين، إلهي كرمتُ فأكرمنــي إذ كنت من سؤّالك، وجُدتُ بالمعروف فاخلطني بأهل نوالك يا كريم.

ثــمّ يقبل عليهم، فيقول: قد عفوتُ عنكــم، فهل عفوتم عني، ومما كان مني إليكم مــن سوء ملكة، فإنني مليك سوء لئيــم ظالم مملوك لمليك كريم جواد عادل محسن متفضل؟

فيقولون: قد عفونا عنك يا سيدنا، وما أسأت.

فيقول لهم: قولوا: اللهمّ اعف عن عليٍّ بن الحسين كما عفا عنَّا، واعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرقّ[2]...

(1) سورة النور، الآية: 22.

(2) بحار الأنوار، ج46، ص104.

الدرس الثامن عشر

الميزان والصراط والمرصاد

أهداف الدرس

1- أن يبيّن الطالب معنى الميزان وكيفيّته وأنواعه.

2- أن يعدّد أهم الأعمال التي تثقل الميزان.

3- أن يبيّن معنى وحقيقة الصراط والمرصاد.

الميزان

الميـزان فـي اللغة اسم آلة يـوزن بها الشـيء، والمراد به في الآيـات عبارة عمّا يعرف به مقادير الأعمال.

يقـول صدر المتألّهين قدس سره «**إنَّ حقيقة الميزان ليس يجب أن يكون البتّة ممّا لـه شـكل مخصوص، أو صورة جسمانية، فـإنَّ حقيقة معناه وروحـه وسّره، هو ما يقاس ويوزن به الشيء، والشيء أعمُّ من أن يكون جسمانياً أو غير جسمانيّ، فكما أنَّ القبَّـان، وذا الكفّتيـن وغيرهما ميزان للأثقال،... فكذلـك علم المنطق ميزان للفكـر في العلوم النظرية، وعلم النحو ميزان للإعراب والبناء، والعروض ميزان للشعـر، والحسّ ميزان لبعض المدركات، والعقل الكامل ميـزان لجميع الأشياء، وبالجملة ميزان كلّ شيء يكون من جنسه، فالموازين مختلفة، والميزان المذكور فـي القـرآن ينبغـي أن يُحمل على أشـرف الموازين، وهو ميزان يـوم الحساب، كما دلَّ عليـه قولـه تعالـى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[1] وهو ميزان العلوم، وميزان الأعمال القلبية، الناشئة من الأعمال البدنية**»[2].

(1) سورة الأنبياء، الآية: 47.

(2) الأسفار، صدر المتألهين الشيرازي، ج 9، ص 299.

«وإذا كان البشر قد اخترعوا موازين للأعراض كالحرِّ والبرد، أفيعجز الخالق البارئ القادر على كلّ شيء، عن وضع ميزانٍ للأعمال النفسانية والبدنية، المعبَّر عنها بالحسنات والسيئات بما أحدثته في الأنفس من الأخلاق والصفات؟»[1].

ميزان أم موازين؟

يلاحَظ ورود الميزان في القرآن الكريم بصيغة الجمع، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾[2]، فما هو المراد من هذا الجمع؟

الموازين: جمع ميزان، وهو الوسيلة لقياس الأشياء. وهذا التعبير يدلّ على أنَّ في ذلك اليوم لا يوجد ميزان واحد للأعمال، بل هناك عدة موازين. وقد يكون المراد من تعدّد الموازين أن يكون لكلّ إنسان، أو لكلِّ أمَّة، أو عمل، ميزاناً، فالصلاة مثلاً توزن بميزان، وكذلك الصيام والحجُّ والجهاد، أي لكلٍّ واحدٍ منها ميزان خاصّ.

وقد قال بعض المفسرين: إنَّ السبب في ذكر الله تعالى الميزان بصيغة الجمع، هو أنَّ لكلِّ نوع من أنواع الطاعات ميزاناً، فيقام لكلّ منها هناك ميزان، فالله سبحانه يخبر عن أنَّه وضع لكلِّ شيء ميزاناً يقدّر به، من غير فرق بين أن يكون جسماً أو قولاً أو فعلاً أو عقيدة، فلكلِّ شيءٍ ميزانٌ يميّز به الحقّ من الباطل، والصدق من الكذب، والعدل من الظلم، والرذيلة من الفضيلة.

وقيل: إنَّ الميزان هو واحد لا أكثر، والدليل على هذا القول بعض الروايات في هذا المجال، وما صيغة الجمع (موازين) إلّا لبيان عظمة الميزان.

(1) المنار، محمد رشيد رضا، ج 8، ص 323.
(2) سورة القارعة، الآيات: 6 ـ 11.

الميزان الدنيويّ للإيمان

وقد جعل الله تعالى لتشخيص الإنسان صحّة عقائده وأخلاقه وأعماله موازين، كالكتاب والسنّة والعقل، فقد روي أنَّ الإمام الباقر عليه السلام قال لبعض أصحابه: «**إعرض نفسك على ما في كتاب الله، فإن كنت سالكاً سبيله، زاهداً في تزهيده، راغباً في ترغيبه، خائفاً من تخويفه، فاثبت وأبشر، فإنَّه لا يضرُّك ما قيل فيك، وإن كنت مبائناً للقرآن، فماذا الّذي يغرُّك من نفسك؟**»[1].

ما هي الأعمال الثقيلة في الميزان؟

يلاحظ في الروايات تعابير مختلفة حول الأعمال الثقيلة في الميزان، ومن جملة هذه الأعمال:

1. الشهادة بوحدانية الله ونبوّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

فقد جاء في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام في باب الشهادة بوحدانية الله ونبوّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: «**نحمده بالحمد الّذي ارتضاه من خلقه، وأوجب قبوله على نفسه، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، شهادتان ترفعان القول وتضاعفان العمل، خفَّ ميزان ترفعان منه، وثقل ميزان توضعان فيه، وبهما الفوز بالجنَّة والنَّجاة من النار**»[2].

2. ذكر الله تعالى:

ورد في بعض الروايات أنَّ بعض الأذكار مثل: الحمد لله، وسبحان الله، والله أكبر، وكذلك لا إله إلا الله، تملأ ميزان العمل يوم القيامة.

ويستفاد من الأحاديث السابقة، وكثير من الأحاديث الأخرى، أنَّ العمل قد يكون

(1) بحار الأنوار، ج 75، ص 163.
(2) م. ن، ج 8، ص 19.

صغيـراً، ولكن له أهمية كبيرة، يجعل ميزان العمل ثقيـلاً، ويملأ كفَّتيه، بحيث إنَّ تمرة واحدة تنفق بإخلاص لوجه الله تعالى، وابتغاء مرضاته، تملأ كفَّة ميزان العدل الإلهيّ، الَّـذي يملأ ما بين المشرق والمغرب، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «...**حتّى أنَّ الرجل ليتصدّق بالتمرة أو بشقِّ تمرة فأربيها له كما يربي الرجل فلوه وفصيله**»[1].

3. الصلاة على محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله:

عـن الإمام محمّـد الباقر أو الإمام الصادق عليه السلام: «**ما فـي الميزان شيءٌ أثقل من الصلاة على محمّد وآل محمّد، وإنَّ الرجل لتوضع أعماله في الميزان فتميل به، فيخرج صلى الله عليه وآله الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فيرجح به**»[2].

4. حبُّ النبي وآله صلى الله عليه وآله:

ومـن المواطـن الّتي تظهر فيهـا آثار مودَّتهـم صلى الله عليه وآله، الميزان يـوم القيامة، ففي الحديـث عن رسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله: «**حبِّي وحـبُّ أهل بيتي نافع في سبعة مواطن أهوالهـنَّ عظيمـة: عنـد الوفـاة، وفـي القبـر، وعنـد النشـور، وعنـد الكتـاب، وعند الحساب، وعند الميزان، وعند الصراط**»[3].

5. حسن الخلق:

ففي الرواية عن رسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله: «**ما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسن**»[4].

6. مداد العلماء:

إنَّ مـداد العلماء لما فيه من صلاح للأمة، ولما له من أثر كبير في إيمان الناس،

(1) بحار الأنوار، ج 4، ص 47.
(2) م. ن، ج 2، ص 494.
(3) م.ن، ج7، ص248.
(4) م.ن، ج68، ص383.

كان أثقل من كثير من الأعمال الّتي لا يستقلّ بما فيها من المثوبة والجزاء، ومن ذلك دمـاء الشهداء، فمداد العلماء على منزلة وعظمـة تلك الدماء، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا كان يـوم القيامـة جمـع الله عزَّ وجلَّ الناس فـي صعيد واحد، ووضعت الموازيـن، فتـوزن دمـاء الشهداء مع مداد العلماء فيرجح مـداد العلماء على دماء الشهداء**»[1].

الصراط والمرصاد

الصراط في اللغة هو الطريق، ويغلب استعماله على الطريق الّذي يوصل الإنسان إلى الخير، بخلاف السبيل، فإنّه يطلق على كلِّ سبيل يتوسّل به، خيراً كان أم شرّاً[2].

أمَّا كلمة المرصاد، فهي مشتقّة من مادة (رصد)، على وزن (حسد)، وهو المكان الّذي يرصد منه ويرقب، والمرصد: موضع الرصد.

قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا﴾[3].

وقـد فسِّـر المرصاد أيضاً بمعنى الصـراط، وأحيانا أخـرى بأنَّه ممر خاص من نفـس الصراط، ففـي الرواية عن الإمام الصـادق عليه السلام: «**المرصـاد قنطرة على الصراط، لا يجوزها عبد بمظلمة**»[4].

صراط في الدنيا وآخر في الآخرة

وقـد جعل الله تعالى للناس في الدنيا صراطاً، وفرض عليهم اتّباعه، وعدم اتِّباع سبـل غيـره، قـال تعالـى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[5].

(1) بحار الأنوار، ج 2، ص 14.
(2) المفردات، الراغب الأصفهاني، مادة سبل.
(3) سورة النبأ، الآيتان: 21و22.
(4) الكافي، ج 2، ص 331.
(5) سورة الأنعام، الآية: 153.

وهـو طريـق على الإنسـان أن يسلكه باختياره لينـال سعادته فـي الدنيا، ومن ثمّ الآخرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[1].

وقـد ورد في حديث مفضّل بن عمر: سألت الإمام الصادق عليه السلام عن الصراط فقال:

«**الصـراط: الطريـق إلـى معرفـة الله سبحانـه وتعالـى**»، ثـمَّ قـال عليه السلام: «**هما صراطـان: صـراط فـي الدنيا، وصراط في الآخـرة، فأمَّا الصراط الّـذي في الدنيا، فهـو الإمام المفروض الطاعـة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرَّ على الصراط الّـذي هـو جسر جهنَّم في الآخرة، ومن لم يعرفه فـي الدنيا زلَّت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردَّى في نار جهنَّم**»[2].

وعـن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالـى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[3] قال: «**هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته**»[4].

فـكلّ ما جعلـه الله تعالى من سبل للهداية، كالقرآن الكريـم، والنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأهـل بيته الطاهرين، هو الصراط الّذي لا بـدّ من الاهتداء بهديه وسلوك مسالكه، لتحصيل رضا الله ونعيمه في الدنيا والآخرة.

ويظهـر من الذكر الحكيـم، ويدلُّ عليه صريح الروايات، وجـود صراط آخر، في النشأة الأخروية يسلكه كلُّ مؤمنٍ وكافرٍ، وهو جسرٌ ينصب على جهنَّم، وعلى الجميع عبـوره، وأشيـر إليه في الآيـات الكريمة، بينمـا ورد ذكره بـالتفصيل فـي الروايات الشريفـة. ويشير الإمـام الحسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام إليـه في حديثه عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «**والصّراط المستقيم صراطان: صراط في الدنيا وصراط فـي الآخـرة، أمَّا الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلوّ، وارتفع عن**

(1) سورة الدهر، الآية: 3.
(2) سورة الدهر، الآية: 3.
(3) سورة الفاتحة، الآية: 6.
(4) بحار الأنوار، ج 24، ص 12.

التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شيءٍ من الباطل، وأمَّا الطريق الآخر فهو طريق المؤمنين إلى الجنَّة»[1].

ما هي حقيقة الصراط؟

يقـول سبحانـه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾[2].

يستفـاد من الروايات الشريفة، أنَّ الصراط جسـر على جهنَّم في طريق الجنَّة، ويرده كلّ برٍّ وفاجرٍ، فالأبرار يمرُّون عليه بسرعة، أمَّا الفجَّار فتزلُّ أقدامهم ويتردّون في نار جهنَّم.

فعن الإمـام الصادق عليه السلام: «**النَّاس يمرُّون على الصـراط طبقات، والصراط أدقُّ مـن الشعـر، وأحدُّ من السيف، فمنهم مـن يمشي عليه مثل البرق، ومنهم من يمـرُّ عليـه مثل عـدو الفرس، ومنهم من يمرُّ حبواً، ومنهم مـن يمرُّ مشياً، ومنهم من يمرُّ متعلِّقاً قد تأخذ النَّار منه شيئاً وتترك شيئاً**»[3].

الصراط ممرٌّ حتميٌّ

فالكلُّ يسلك الصراط في النشأة الأُخرى، ويختلفون في السرعة والبطء، بحسب شـدّة سلوكهم للصـراط الدنيويّ، ولأجل ذلـك تضافرت الروايـات باختلاف مرور الناس، حسب اختلافهم في سلوك صراط الدنيا.

يقـول سبحانه وتعالـى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾

(1) بحار الأنوار، ج 8، ص 70.
(2) سورة المؤمنون، الآيتان: 73 و 74.
(3) بحار الأنوار، ج 8، ص64 و 65.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[1].

وعلى كلِّ تقدير، فلا بدَّ للمسلم من الاعتقاد بوجود صراط في النشأة الأخروية، وهو طريق المؤمن إلى الجنَّة، والكافر إلى النَّار.

ما بين صراط الدنيا والآخرة

إنَّ من يسلك الصراط الدنيويّ الّذي جعله الله معبراً لطاعته ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[2]، واهتدى بهدي القرآن واقتدى بالنبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم واتَّبعَه وأهلَ بيته صلى الله عليه وآله وسلم، فله الأمن، ويسلك الصراط الأخرويّ ويجتازه بأمان إلى الجنَّة.

ومن أعرض عن ربِّه، ونسي ذكره، واتَّبع سبيل الشيطان، وانطوى تحت ولايته، يأتي يوم القيامة ليسلك الصراط الأخرويّ، فتزلُّ قدمه ويهوي في عذاب السَّعير.

إنَّ قيام الإنسان بالوظائف الإلهية، في مجالي العقيدة والعمل، أمر صعب، أشبه بسلوك طريق أدقّ من الشعر، وأحدّ من السيف، فإذا كان هذا حال الصراط الدنيويِّ من حيث الصعوبة والدقة، فكيف يكون حال الصراط الأخرويِّ؟

مواقف على الصراط

على الصراط عدّة مواقف كما ورد في الروايات الشريفة، وفي كلِّ موقف يُسأل فيه عن شي، فأمَّا الأول، فيُسأل عن الصلاة، فهي عمود الدِّين وأساسه.

وأمَّا الثاني، فعن الأمانة وصلة الرحم، وهما من أهم علامات المؤمن، وصفات يتميَّز بها عن سواه.

والثالث عن العدالة وما شابه ذلك. كما لا يمكن لأحد العبور عليه واجتيازه، إلّا

(1) سورة مريم، الآيات: 68 ـ 72.
(2) سورة الأنعام، الآية: 153.

بولاية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وولاية الإمام عليّ وأهل بيته عليهم السلام.

فعن جابر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**أدقُّ من الشعرة، وأحدُّ من السيف، عليها ثلاث قناطر.**

فأمَّا واحدة: فعليها الأمانة والرحم.

وأمَّا ثانيها: فعليها الصلاة.

وأمَّا الثالثة: فعليها عدل ربّ العالمين، لا إله غيره، فيكلّفون الممرّ عليها، فتحبسهم الرحم والأمانة، فإن نجوا منها حبستهم الصلاة، فإن نجوا منها كان المنتهى إلى ربِّ العالمين جلَّ وعزَّ، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾، والنَّاس على الصراط، فمتعلِّق بيد وتزول قدم مستمسك بقدم.

والملائكة حولها ينادون: يا حليم اعف واصفح وعد بفضلك، وسلّم، وسلّم. والنَّاس يتهافتون في النَّار كالفراش فيها، فإذا نجا برحمة الله مرَّ بها، فقال: الحمد لله، وبنعمته تتمُّ الصالحات، تزكو الحسنات، والحمد لله الَّذي نجّاني منك بعد اليأس بمنِّه وفضله، إنَّ ربَّنا لغفورٌ شكورٌ»[1].

(1) الكافي، ج 8، ص 312.

خلاصة الدرس

1. الميزان في اللغة اسم آلة يوزن بها الشيء، والمراد به في الآيات عبارة عمّا يعرف به مقادير الأعمال.
2. الأعمال الثقيلة في الميزان:
   - الشهادة بوحدانيَّة الله ونبوّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.
   - ذكر الله تعالى.
   - الصلاة على محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.
   - حبُّ النبيّ وآله عليهم السلام
   - حسن الخلق.
   - مداد العلماء.
3. الصراط في اللغة هو الطريق، ويغلب استعماله على الطريق الّذي يوصل الإنسان إلى الخير.
4. المرصاد: هو المكان الّذي يرصد منه ويرقب.
5. يستفاد من الروايات الشريفة أنَّ الصراط جسر على جهنَّم في طريق الجنَّة، ويرده كلّ برٍّ وفاجر، فالأبرار يمرُّون عليه بسرعة، أمَّا الفجَّار فتزلُّ أقدامهم ويتردّون في نار جهنَّم.
6. الكلُّ يسلك الصراط في النشأة الأُخرى، ويختلفون في السرعة والبطء، بحسب شدّة سلوكهم للصراط الدنيويّ، ولأجل ذلك تضافرت الروايات باختلاف مرور الناس، حسب اختلافهم في سلوك صراط الدنيا.

أسئلة

1- ما هو المقصود بالميزان؟

2- ما هي الأعمال الّتي تثقل الميزان يوم القيامة؟

3- ما المراد من الصِّراط والمرصاد؟

4- ما هي العقبات الّتي تعترض الإنسان على الصِّراط؟

للمطالعة

بهلول والعبور على الصراط

كان بهلول يذهب في بعض الأوقات إلى المقبرة ويجلس بين القبور، ثمَّ يقرأ سورة الفاتحة للأموات سواء كان يعرفهم أم لا. وذات يوم وعلى عادته، كان البهلول قاصداً مقبرة المسلمين، فصادفه هارون الرشيد، وهو يريد الذهاب الى الصيد.

حينما وصل هارون قرب البهلول سمعه يردد كلمة: «الصِّراط... الصِّراط».

فلما شاهده هارون سأله قائلاً: ماذا تفعل يا بهلول؟ وماذا تعني بالصِّراط؟

أجابه بهلول وكان جالساً على قبر من القبور: «جئت أناساً لا يغتابون أحداً ولا يرجون مني شيئاً ولا يؤذونني».

نهض بهلول عن القبر، ووقف الى جانب هارون، وكان مطرقاً إلى الارض وسأله: تريد معرفة معنى الصراط؟ قل لهؤلاء أن يوقدوا ناراً هنا.

أمر هارون من حوله ليذهب في طلب الحطب، فلّما أحضرت النَّار قال بهلول لهارون أن يأمر له بطشت فيه ماء ويضعوه على النار، فلما نفَّذوا أمر هارون، واشتدّت حرارة الطشت، وأخذ الماء يغلي، قال لهارون: يا هارون قف على هذا الطشت، ثمَّ

عـرِّف عن نفسك، ومأكلك وملبســك، فإن أتممت كلامك أقف أنــا أيضاً وأفعل مثل ذلك.

كان هــارون يخشى الوقوف داخـل الطشت، فحاول صرف بهلول عمّا ينويه، فقال لبهلول: عليك أن تفعل ذلك أنت أوّلاً.

كان يشــمُّ من كلام هــارون رائحة الخوف الممزوج بالتهديـد، لكنَّ ذلك لم يكن ليثنيَ بهلولاً عن عزيمته، فقال: نعم أفعل ذلك أنا أولاً.

ثـمَّ ذهب إلــى الطشت فوقف فــي وسطه وقال: أنــا بهلول طعامــي التمر وخبزي الشعير ولباسي من الصوف.

فلمَّا أتمَّ بهلول كلامه، خرج وليس في قدميه آثار الحروق.

والآن وصلت النوبة لهارون، وقد أمسكوا به من تحت إبطيه ليخلع نعليه. تقدَّم وهو يلفــظ أنفاسه بسرعة، والعرق يتصبّب من جبينه، وأخيــراً خلع نعليه ودخل الطشت علــى عجل فلم تكن له طاقة الوقوف أكثر من لحظه قــال فيها: أنا هارون... ثمَّ قفز بسرعة.

لــم يجرؤ مــن كان حول هارون علــى الضحك عليــه، وحاولوا أن يمسكــوا أمامه أفواههم، لم يكن هارون يستطيع الوقوف على قدميه أمام حاشيته، فأخذ ينظر إلى من حوله بغضب. ثم سأل بهلولاً: قل لي الآن ماذا أردت من ذلك؟

تبسَّم بهلول وقال: إعلم أنَّ يوم القيامة بهذا النحو، فإنَّ الَّذين لا يملكون في الدنيا مــالاً ولا ذهباً يعبرون الصِّراط آمنين، وأمَّا من كان متعلّقاً بالدُّنيا وزينتها، فليس له قــدرة العبور على الصراط، فإنَّ مــن كان كذلك يسقط في اللَّحظة الأولى من وقوفه عليه.

الدرس التاسع عشر

محكمة الآخرة ويوم الحساب

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف إلى عِظَم يوم القيامة والحاكم والقاضِي فيه.

2- أن يعدد بعض خصائص الحكم الإلهي يوم القيامة.

3- أن يبيّن أنواع الشهود في يوم القيامة.

4- أن يذكر أنواع الحساب وأصناف المحاسبين في يوم القيامة.

يوم القيامة

يــوم القيامــة يوم جليل خطبه، عظيم خطره، بل هو اليوم الّذي ليس قبله مثله ولا بعده مثله، وكلُّ ما فيه ظاهرٌ ومنكشف، إذ تُبَيَّن كلُّ الأمور على حقائقها، فلا زيف ولا خداع ولا كذب ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[1].

هــو يوم يجمع الله فيه الأوَّلين والآخريــن للحساب: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[2]. ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[3].

يــومٌ يشيب من هوله الوليد، وتذهل الأمُّ الحنــون عن طفلها، وتسقط فيه الحامل حملهــا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[4].

فــي هــذا الموقف لا يملك الإنســان إلّا أن يعترف ويقرَّ على نفســه، لأنَّ الشهود لا يمكــن أن تُــردَّ شهادتهــم، فيتبيَّن لكلِّ إنسان مــا له وما عليه من حقــوق الله تعالى،

(1) سورة الحاقة، الآية: 18.
(2) سورة الواقعة، الآيتان: 49 و 50.
(3) سورة آل عمران، الآية: 9.
(4) سورة الحج، الآية: 2.

وحقوق الناس، فيأخذ كلُّ إنسان حقَّه ممّن ظلمه، وغصَب حقَّه، وآذاه واعتدى عليه.

فـي ذلك اليـوم المشهود تقام محكمة العدل الإلهيَّة، الّتـي يقضي فيها ربُّ العزَّة سبحانـه بيـن خلقه وعباده، وكما هو حـال الدنيا، فإنَّه لا بدَّ لـكلِّ محكمةٍ من حَاكم يحكم ويقضي، وشهودٍ يشهدون، ومتَّهَمٍ، وأرضٍ يقام عليها الحكم.

الحاكم والقاضي هو الله تعالى

الحاكـم فـي يـوم القيامة فهو اللّه جـلَّ جلاله، جبَّـار الأرض والسمـاء، تباركت أسمـاؤه، وعظمـت صفاته، الّـذي يعلم السِّر وأخفـى، الّذي يعلم خائنـة الأعين وما تخفـي الصدور، الخالـق لكلِّ شـيء سبحانه وتعالـى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾.[2]

صفة حكمه تعالى

من خصائص الحكم الإلهيّ في يوم القيامة:

1. العدل المطلق:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[3].

لأنَّ اللّه تعالى هو العدلُ الّذي لا يجُور، وإنَّما يحتَاجُ إلى الظلم الضعيف. يقول اللّه تعالـى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[4]. ويقول اللّه تعالى: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[5].

(1) سورة غافر، الآية: 47 – 48.
(2) سورة يونس، الآية: 93.
(3) سورة الزلزلة، الآيتان: 7 و 8.
(4) سورة الكهف، الآية: 49.
(5) سورة غافر، الآية: 17.

2. لا محاباة ولا أنساب تنفع:

يقـول الله تعالـى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[1]. أي لا تنفـع الإنسـان يومئذ قرابة، ولا رشـوة تغيِّر الحكم، فالحاكم هـو الغنيّ المتعال، والـكلُّ مفتقر إليه سبحانـه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[2].

ولا تهديـد ولا ضغوط، فالحاكم هو القويّ سبحانه: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾[3]، ويقـول تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾[4].

3. حكمه لا يقبل النقض:

تعـارف النـاس فـي الدنيا على نقض الحكـم، أو محاولة استئنافـه، لعلَّ خللاً ما يظهـر فيه. وهذا يمكن تصوُّره فـي حقّ القضاة البشر، المعرضين للوقوع في الخطأ والاشتبـاه، ولكـن لا يمكـن تصوّره فـي حقّ الله تعالـى العليم الخبير العـادل، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[5].

الشهود يوم القيامة

وأمّا الشهود فهم كثرٌ فلا مكان للإنكار والكذب والمراوغة.

1. الشاهد الأوّل: الله سبحانه

إنَّ الله سبحانـه هو القاضـي والحاكم بين العباد، وهو بنفسـه أيضاً شاهد على

(1) سورة المؤمنون، الآية: 101.
(2) سورة فاطر، الآية: 15.
(3) سورة البقرة، الآية: 165.
(4) سورة مريم، الآية: 93.
(5) سورة الرعد، الآية: 41.

أعمالهم، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا﴾[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**اتّقوا معاصي الله في الخلوات، فإنَّ الشاهد هو الحاكم**»[3].

2. الشاهد الثاني: الأنبياء والأوصياء عليهم السلام

قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾[4].

بيّن سبحانه أنَّه يبعث في يوم القيامة من كلِّ أُمّة شهيداً، وهم الأنبياء والعدول من كلِّ عصر، يشهدون على الناس بأعمالهم، هؤلاء هم ذوو عصمة إلهية، ليمتنع عليهم الخطأ والاشتباه عند تحمّل الشهادة، والكذب والخيانة عند أدائها، وهذا الوصف هو ما تقتضيه محكمة العدل الإلهيَّة، حيث لا ظلم اليوم، ويأتي على رأس هؤلاء الشهود خاتم الأنبياء وسيّدهم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، الّذي عدَّه القرآن الشاهد على أُمّته، يقول سبحانه وتعالى:

﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾[5].

ويقول سبحانه: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾[6].

(1) سورة الحج، الآية: 17.
(2) سورة يونس، الآية: 61.
(3) نهج البلاغة، السيد الرضي، الحكمة: 324.
(4) سورة النحل، الآية: 89.
(5) سورة النساء، الآية: 41.
(6) سورة النحل، الآية: 89.

3. الشاهد الثالث: الأعضاء والجوارح

يقول سبحانه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

ويقول سبحانه: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[2].

دلَّ كثير من الآيات الشريفة على أنَّ الجوارح تشهد على أصحابها، بكيفية استخدامهم لها، فهل استعملوها في رضا الله تعالى أم في سخطه؟

فما كان منها من قبيل الأقوال، كالقذف والكذب والغيبة ونحوها، شهدت عليه الألسنة، وما كان منها من قبيل الأفعال، كالسرقة والمشي للنميمة والسعاية وغيرها، شهدت عليه بقية الأعضاء[3].

﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[4].

4. الشاهد الرابع: الملائكة

يقول سبحانه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[5].

وهذا الرقيب العتيد يشهد أعمال من وكّل به يوم القيامة، عندما يردُ الإنسان صعيدَ الحساب.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في دعائه الّذي علّمه لكميل بن زياد رضي الله عنه: «**وَكُلَّ سَيِّئَةٍ أَمَرْتَ بِإثْباتِهَا الْكِرامَ الْكاتِبِينَ الَّذِينَ وَكَّلْتَهُمْ بِحِفْظِ ما يَكُونُ مِنّي وَجَعَلْتَهُمْ شُهُوداً عَلَيَّ مَعَ جَوارِحي، وَكُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيَّ مِنْ وَرائِهِمْ، وَالشّاهِدَ لِما خَفِيَ عَنْهُمْ**».

(1) سورة النور، الآية: 24.
(2) سورة يس، الآية: 65.
(3) الميزان في تفسير القرآن، ج 15، ص 94.
(4) سورة فصلت، الآيتان: 20 و 21.
(5) سورة ق، الآية: 17.

5. الشاهد الخامس: صحيفة الأعمال

يقول سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[1].

ويقول سبحانه مصوّراً حال المجرم عند الحساب وشهادة الكتاب عليه: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾[2].

6. الشاهد السادس: الأرض

فالأرض تشهد على الإنسان يوم القيامة بما فعل عليها من طاعات ومعاصٍ، فتشهد خطاه للمساجد عليه بالطاعة، وخطاه إلى الجهاد أيضاً، وكذلك تشهد على الّذي يسير عليها بالكبر والغرور...

يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[3].

روى الشيخ الطوسيّ بإسناده عن أبي ذرّ عن النبيّ الأكرم ﷺ، في وصيّته له: «**يا أبا ذرّ، ما من رجلٍ يجعل جبهته في بقعة من بقاع الأرض، إلاّ شهدت له بها يوم القيامة**»[4].

السرعة في المحاكمة

إنَّ محكمة الآخرة ليست كمحاكم الدنيا وأهلها الّتي تطول لسنين، وربَّما تظهر براءة المتّهم بعد إدانته، ويطول فيها الحسم في الأحكام، ففي محكمة الآخرة يحسم الحكم بسرعة.

قال سبحانه وتعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[5]. وقد وردت حول هذا الموضوع

(1) سورة يس، الآية: 12.
(2) سورة الكهف، الآية: 49.
(3) سورة الزلزلة، الآيتان: 4 ـ 5.
(4) وسائل الشيعة، ج 5، ص 188.
(5) سورة آل عمران، الآية: 19.

(سرعة الحساب) رواياتٌ كثيرة نذكر منها:

عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «**إنَّه سبحانه يحاسب جميع عباده على مقدار حلب شاة**»[1].

و في رواية أخرى: «**إنَّ الله يحاسب الخلائق كلَّهم في مقدار لمح البصر**»[2].

و سبب هذه السرعة واضح، حيث إنَّ الحساب منوط بالعلم والاطّلاع الكامل، وبالقدرة الخارقة ورعاية العدالة، والله سبحانه وتعالى يمتلك كلَّ ذلك في حدّ الكمال المطلق.

المتّهم

هو الإنسان الّذي خلقه الله بيده، وأسجد له الملائكة، وكرَّمه على كثير ممّن خلق، وسخَّر الكون له، وأرسل له الرسل، وأنزل له الكتب، وجعل له واعظاً من عند نفسه بالفطرة الّتي فطر الناس عليها على معرفته سبحانه، وحذَّره من الشيطان وطاعته، الإنسان الّذي إذا أحاطت به الخطوب تذكَّر ربَّه، وإذا كان في نعمة غفل وكفر، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾[3].

أرض المحكمة

هي أرض أخرى غير أرضنا، لم تطأها قدمٌ من قبلُ، ولم تعمل عليها بخطيئة، ولم يسفك عليها دمٌ، أرض طاهرةٌ من ذنوب بني آدم وظلمهم، طهرها يتناسب وطهرِ القضاءِ الّذي سيقضى عليها، وسوف يعرضُ كلّ عبد على ربِّه، ويتولّى سبحانه حسابه بنفسه، فقد ورد عن رسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**كلُّكم مكلِّم ربَّه يوم القيامة،**

(1) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج4، ص75.
(2) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج 2، ص 64.
(3) سورة النحل، الآيتان: 53 ـ 54.

ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أمامه فلا يجد إلّا ما قدَّم، وينظر عن يمينه فلا يجد إلّا ما قدَّم، ثمّ ينظر عن يساره فإذا هو بالنَّار، فاتّقوا النَّار ولو بشقّ تمرة، فإن لم يجد أحدكم فبكلمة طيبة»[1].

يوم الحساب

يقول الله تعالى في محكم آياته وقرآنه: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾[2].

تصف الآية الكريمة يوم القيامة بأنَّه يوم الحساب. والحساب الإلهيّ في عالم الآخرة هو عبارة عن الموازنة بين ما عمله الإنسان من حسنات وسيئات، ليكشف للإنسان ما له وما عليه فيجازى به، وتكشف فيه الصحف والسرائر، ويتجسّد أمام كلِّ فرد عمله، فيراه بكامل تفاصيله وجزئياته، يقول الله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[3]، ويقول في آية أخرى ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾[4].

أنواع الحساب وأصناف المحاسبين

والناس في يوم الحساب أصناف:

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾[5].

فالنَّاس يختلفون اختلافاً كبيراً فيما بينهم بالحساب يوم القيامة، فطائفة يشدّد

(1) مستدرك الوسائل، ج7، ص167.
(2) سورة الأنبياء، الآية: 1.
(3) سورة إبراهيم، الآية: 51.
(4) سورة الأنعام، الآية: 62.
(5) سورة الأنشقاق، الآيات: 7 ـ 13.

اللّه فـي حسابهـا، وتضمُّ الَّذين يشـدِّدون في حساب النَّاس في الـدار الدنيا، وذوي الأخلاق السيِّئـة، والظلمة، وطائفة أخرى يكون حسابُ أفرادها سهلاً يسيراً، بسبب أعمالهم الصـالـحة، وحسن أخلاقهم، وتساهلهم وتسامحهم مع عباد اللّه.

رُوِيَ عـن أمير المؤمنيـن عليه السلام أنَّه قال: «**والناس يومئذ على طبقات ومنازل، فمنهم من يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً، ومنهم الَّذين يدخلون الجنَّـة بغيـر حساب، لأنَّهم لم يتلبّسوا من أمر الدنيـا بشيء، وإنَّما الحساب هناك علـى مـن تلبَّـس هاهنا، ومنهـم من يحاسـب على النقيـر والقطميـر، ويصير إلى عـذاب السعيـر، ومنهـم أئمّة الكفر وقـادة الضلال، فأولئك لا يقيـم لهم وزناً، ولا يعبـأ بهـم، لأنَّهم لم يعبـأوا بأمره ونهيـه، فهم في جهنَّم خالـدون، تلفح وجوههم النَّار، وهم فيها كالحون**»[1].

ويحـدّد الإمام محمّد الباقر عليه السلام سبب التأخّر في الحساب يوم القيامة بالدقّة الّتـي يكون فيها الحساب، حيث رُوِيَ عنه عليه السلام: «**إنَّما يداقّ اللّه العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا**»[2].

وورد فـي حديث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**ثلاث من كنَّ فيه حاسبه اللّه حساباً يسيراً، وأدخله الجنَّة برحمته، قالوا: وما هي يا رسول اللّه؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: تعطي من حرمك وتصل من قطعك، وتعفو عمّن ظلمك**»[3].

ويستفـاد مـن بعض الروايـات أيضاً أنَّ (حسـن الخلق) يخفّف مـن حساب يوم القيامة، فقد رُوِيَ أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لنوف: «**يا نوف صل رحمك يزد اللّه في عمرك، وحسّن خلقك يخفّف اللّه حسابك**»[4].

(1) بحار الأنوار، ج 90، ص 105.
(2) الكافي، ج 1، ص 11.
(3) م. ن. ج 7، ص 96.
(4) بحار الأنوار، ج 68، ص 383.

فأمَّا من يدخل النَّار بلا حساب، فهم أهل الشرك. فعن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام: «**إنَّ أهل الشرك لا تنصب لهم الموازين، ونَشرُ الدواوين لأهل الإسلام**»[1].

ونستفيد من مجموع الروايات، وحتّى الإشارات الواردة في بعض الآيات القرآنية، أنَّ حساب يوم القيامة حساب دقيق للغاية في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال لرجل: «**يا فلان مالك ولأخيك؟ قال: جعلت فداك كان لي عليه حقٌّ فاستقصيت منه حقّي، قال أبو عبد الله عليه السلام: أخبرني عن قول الله ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾[2]، أتراهم خافوا أن يجور عليهم أو يظلمهم؟ لا والله خافوا الاستقصاء والمداقَّة**»[3].

المسائل الّتي يُسأل عنها يوم القيامة

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا﴾[4].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة أوائل خلافته: «**إتّقوا الله في عباده وبلاده فإنَّكم مسؤولون حتّى عن البقاع والبهائم**»[5].

وممّا يُسأل عنه الإنسان يوم القيامة:

1. العمر والمال وحبّ أهل البيت عليهم السلام:

فقد رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتّى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه. وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين كسبه، وفيما أنفقه، وعن حبِّنا أهل البيت**»[6].

(1) بحار الأنوار، ج 7، ص 250.
(2) سورة الرعد، الآية: 21.
(3) وسائل الشيعة، ج 18، ص 349.
(4) سورة النساء، الآية: 86.
(5) نهج البلاغة، خطبة: 176.
(6) بحار الأنوار، ج 7، ص 258.

2. الصلاة:

فعن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنَّ أوّل ما يُحاسب به العبد الصلاة، فان قُبلت قُبِل ما سواها**»[1].

3. الحواسّ واستعمالها:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[2]. وقد مرَّ الكلام على أنّها تشهد على صاحبها بما فعله بها، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً.

4. الدَيْن:

ففي الرواية عن أحد الصادقين عليه السلام، قال: «**يؤتى يوم القيامة بصاحب الدَّين يشكو الوحشة، فإن كانت له حسنات أخذَ منها لصاحب الدَّين... وإن لم تكن له حسنات أُلقي عليه من سيِّئات صاحب الدَّين**»[3].

5. الحقوق والمظالم:

فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع عنده. فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: كلّا، المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثمّ طُرح في النَّار**»[4].

(1) الكافي، ج 3، ص 268.
(2) سورة الإسراء، الآية: 36.
(3) بحار الأنوار، ج 7، ص 274.
(4) م. ن، ج69، ص6.

خلاصة الدرس

1. يوم القيامة يوم جليل خطبه، عظيم خطره، بل هو اليوم الّذي ليس قبله مثله ولا بعده مثله، وكلّ ما فيه ظاهرٌ ومنكشف.
2. في ذلك اليوم المشهود تقام محكمة العدل الإلهية الّتي يقضي فيها ربّ العزَّة سبحانه بين خلقه وعباده.
3. أمّا الحاكم: فهو اللّه جلَّ جلاله، جبَّار الأرض والسماء، تباركت أسماؤه، وعظمت صفاته، الّذي يعلم السِّرّ وأخفى، الّذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.
4. من خصائص الحكم الإلهيّ في يوم القيامة:
   أ. العدل المطلق.
   ب. لا محاباة ولا أنساب تنفع.
   ج. حكمه لا يقبل النقض.
5. وأمّا الشهود فهم كثرٌ، فلا مكان للإنكار والكذب والمراوغة.
6. المتَّهم هو الإنسان الّذي خلقه اللّه بيده، وأسجد له الملائكة، وكرّمه على كثير ممّن خلق.
7. وردت روايات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام في أصناف من النَّاس لا يحاسبون، فمنهم من يدخل الجنَّة بغير حساب، وبعض يدخل النَّار دون حساب ولا ميزان، فأمَّا من يدخل النَّار بلا حساب فهم أهل الشرك.
8. ممَّا يسأل عنه الإنسان يوم القيامة: العمر والمال وحبّ أهل البيت عليهم السلام، والصلاة، والحواسّ واستعمالها، والدَّيْن، والحقوق والمظالم.

أسئلة

1- ما المراد من محكمة الآخرة؟

2- من هم الشهود في هذه المحاكمة؟

3- ما يميِّز محكمة الآخرة عن محاكم الدنيا؟

4- أين تقع أرض المحكمة؟ وما هي صفتها؟

5- تحدَّثْ عن صفة يوم الحساب؟

6- ما المراد بالمداقَّة في الحساب؟

7- ما هي الأمور الّتي يحاسب عليها الإنسان يوم القيامة؟

فـي كتاب كتبه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه إلى أهل مصر مع محمّد بن أبي بكر:

... يـا عبـاد الله! إنَّ بعـد البعث ما هو أشـدّ من القبر، يوم يشيـب فيه الصغير، ويسكر فيه الكبير، ويسقط فيه الجنين، وتذهل كلُّ مرضعة عمَّا أرضعت، يوم عبوس قمطريـر، يوم كان شرّه مستطيراً، إنَّ فزع ذلك اليوم ليرهب الملائكة الّذين لا ذنب لهـم، وترعـد منه السبع الشداد، والجبـال الأوتاد، والأرض المهـاد، وتنشقُّ السماء فهـي يومئذ واهية، وتتغيّر فكأنَّها وردة كالدهان، وتكـون الجبال سراباً مهيلاً بعدما كانـت صمّاً صلابـاً، وينفخ في الصور فيفزع من في السمـاوات والأرض إلاّ من شاء الله، فكيـف مـن عصى بالسمع والبصـر واللسان واليد والرجل والفـرج والبطن إن لـم يغفر الله له ويرحمـه من ذلك اليوم؟ لأنَّه يصير إلى غيـره إلى نار قعرها بعيد، وحرّهـا شديد، وشرابها صديد، وعذابها جديـد، ومقامها حديد، لا يغيَّر عذابها ولا يموت ساكنها، دار ليس فيها رحمة، ولا تُسمع لأهلها دعوة[1].

(1) بحار الأنوار، ج7، ص103.

الدرس العشرون

الجنّة والنار

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى الجنّة، وصفها العام، خصائص نعيمها، درجاتها، أنواعها، غرفها.

2- أن يتعرّف إلى جهنّم، أوصافها، أبوابها ودركاتها، أنواع عذابها.

معنى الجنّة

المعنى اللغويّ: فهي بمعنى البستان، والمكان الّذي فيه زرع وثمار وأشجار، تواري من سار فيها وتستره، أمّا في المصطلح الشرعيّ، فإنّها الدار الّتي أعدّها الله تعالى لثواب المؤمنين في الآخرة.

الوصف العام للجنّة

لأنّ الجنّة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولأنّها كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1]، لذا فإنّ الله تعالى لا يصف الجنّة بما هو واقعها، وإنّما يصفها على نحو التقريب فيقول عزّ وجلّ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾[2].

ويقول في آية أخرى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾[3].

(1) سورة السجدة، الآية: 17.
(2) سورة الرعد، الآية: 35.
(3) سورة محمد، الآية: 15.

فالله تعالى يضرب لنا المثل فقط، لأنَّ الألفاظ الّتي نتخاطب بها نحن قد وضعت لمعانٍ نعرفها، وإذا كانت في الجنّة أشياء لم ترها عين ولم تسمعها أذن، ولم تخطر على بال بشر، فمن الممكن أن نقول إنَّه لا توجد ألفاظ عندنا تؤدّي معنى ما هناك، وبهذا نعرف أنَّ هناك فارقاً بين «**مثل الجنَّة**» وبين «**الجنَّة**».

وهنا يتجلَّى عجز اللغة عن أن توجَد فيها ألفاظٌ تعبّر عن معنى ما هو موجود في الجنّة، فلا أحد فينا يعلم ما هي الأشياء الموجودة في الجنة ما دام أحد منَّا لم يرَ الجنَّة.

لا تفنى ولا تبيد

إنَّ الجنَّة لا تفنى ولا تبيد، والدليل على هذا ظاهر في كتاب الله عزَّ وجلَّ، قال تعالى عن الجنّة: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾[2]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[3]، وقال تعالى عن فاكهة الجنَّة: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[4].

نعيم محض

إنَّ الجنَّة نعيم محض، فلا يعتريها ما في الدنيا من الكدورة والشقاء، فالمياه في الدنيا عندما تجري، تكون حلوة ورائقة وصافية، وإن ركدت فهي تأسن وتفسد. ولذلك يوضح لنا الحقُّ سبحانه أنَّ المياه في الجنة غير آسنة، وأنَّها تكون أنهاراً منزوعاً من مياهها ما يكدِّرها. وكذلك فإنَّ اللبن إذا بقي لمدّة طويلة، يتغيَّر طعمه، ولذلك يضرب لهم المثل بوجود أنهار من لبن لم يتغيَّر طعمه.

وأيضاً يضرب المثل بوجود أنهار من عسلٍ مصفًّى، وبذلك يقدّم لنا خير ما كنّا نحبه من عسل الدنيا، ولكن دون ما يكدِّره.

(1) سورة هود، الآية: 108.
(2) سورة ص، الآية: 54.
(3) سورة الرعد، الآية: 35.
(4) سورة الواقعة، الآية: 32.

ويوضح سبحانه أيضاً أنَّ في الجنة أنهاراً من خمر، ولكنَّها خمرٌ تختلف عن خمر الدنيا، فهي لا تؤثّر على التكوين العضويّ للعقل، كما أنَّ خمر الدنيا ليس فيها لذّة للشاربين، لأنَّها من كحول يكوي الفم ويلسعه. ويقول الحقُّ سبحانه عن خمر أنهار الجنّة: ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾[1]. أي أنَّه سبحانه ينفي عن خمر أنهار الجنَّة كلّ المكدّرات الّتي تشوب خمر الدنيا.

أبواب الجنّة

تحدّثت الروايات الشريفة عن أهل البيت عليهم السلام عن أبواب الجنّة، ومن ذلك ما رُوِيَ عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن جده، عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «**إنَّ للجنّة ثمانية أبواب: بابٌ يدخل منه النبيّون والصدِّيقون، وبابٌ يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبّونا**»[2].

ورُوِيَ عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه قال: «**أحسنوا الظنّ بالله، واعلموا أنَّ للجنّة ثمانية أبواب، عرض كلّ باب منها مسيرة أربعين سنة**»[3].

درجات الجنَّة وأنواعها

للجنَّة درجات بعضها فوق بعض، وأهلها متفاضلون فيها بحسب منازلهم فيها، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾[4].

ويقول سبحانه وتعالى في آية أخرى: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾[5].

(1) سورة الصافات، الآيات: 43 ـ 47.
(2) بحار الأنوار، ج 8، ص 39.
(3) بحار الأنوار، ج 8، ص 131.
(4) سورة طه، الآية: 75.
(5) سورة الإسراء، الآية: 21.

أنواع الجنَّة

والجنَّـات نفسهـا متنوعـة، فهناك جنَّات الفردوس، وجنَّات عـدن، وجنَّات نعيم.. وهنـاك دار الخلـد، ودار السلام، وجنَّـة المأوى، وهناك عليُّون الّـذي هو أعلى وأفضل الجنَّات.

طعام أهل الجنّة وشرابهم

أمّـا طعام أهل الجنَّة، فهـو كما قال الله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾[1].

فالجنَّـة تحتوي علـى جميع ثمار وفواكـه الدنيا من حيث الشـكل، ولكنَّها تختلف تمامـاً عمـا في الدنيا مـن حيث طعمها. وقد ذُكـر من ثمار الجنّة التيـن - العنب - الرمّان - الطلح (الموز) والبلح (النخيل) والسدر(النبق) وجميع ما خلق الله تبارك وتعالى لأهل الدنيا من ثمار.

وفواكـه الجنّة وثمارها في متناول أيادي أهل الجنـة، وأنّى شاءوا، فما أن يشتهي المؤمـن فاكهة ما حتّى يهبط إليه غصنها وتقتـرب الثمرة المطلوبة من فمه، فهو لا يحتاج إلى النطق والإفصاح عن حاجته أو رغبته أبداً كما قال تعالى ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾[2]، ومعنـى كلمـة (دان) هو قريـب، وهي مشتقّة من الدنوّ، فـإنَّ ثمار الجنتين وفواكههما قد دنت إلى المؤمن وأضحت في متناول يده وعند رغبته.

أنهار الجنَّة وعيونها

الأنهـار والعيون مطلب لراحة النفس في الدنيـا على ما فيها من مكدّرات، فكيف إذا كانـت أصنـاف هذه الأنهـار مما لا عيـن رأت مثلها ولا خطرت علـى قلب بشر؟ وقـد تكرّر في القـرآن الكريم في عـدّة مواضع قوله تعالـى ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا

(1) سورة الواقعة، الآية: 21-20

(2) سورة الرحمان، الآية: 54.

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[1].

وهـذا يدلّ علـى أنَّها أنهارٌ حقيقية، وأنَّها جارية لا واقفـة، وأنَّها تحت قصورهم، وقد ذكر تعالى في آية واحدة أربعة أجناس من الأنهار، قال عزَّ وجلَّ:

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ...﴾[2].

وقد نفى تعالى عن كلٍّ واحدٍ منها الآفّات الّتي تعرض لها في الدنيا، فآفّة الماء أن يأسـن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغيّر طعمه الـى الحموضة، وآفّة الخمر كراهة مذاقه المنافي للذّة شربها، وآفّة العسل عدم تصفيته.

النعم الروحيَّة

إضافـة إلى كلِّ ما ذكر من الملذّات الجسمانية، فهناك ملذَّات ونعم روحيَّة كانت في الدنيا أملاً وأمنية للمؤمنين، وهي لقاء رسول الله الأكرم محمّد ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام، ومجاورتهـم والاتّصـال بهـم، كما روي عـن رسـول الله ﷺ إذ يقول لأمير المؤمنيـن عليه السلام: «**وإنَّـك أوّل من يرد عليَّ الحوض، وإنَّـك على الحوض خليفتي، وإنَّك أوّل من يُكسى معي، وإنَّك أوّل داخل الجنَّة من أمّتي، وإنَّ شيعتك على منابر من نور مبيضَّة وجوههم حولي أشفع لهم، ويكونون غداً في الجنَّة جيراني**»[3].

والأعظـم مـن كلِّ ما ذكر مكالمـة الله سبحانه وتعالى لعبـده المؤمن، يقول الله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[4].

(1) سورة البقرة، الآية: 25.
(2) سورة محمد، الآية: 15.
(3) بحار الأنوار، ج 37، ص 272.
(4) سورة يس، الآية: 58.

صفة جهنّم

هي دارٌ أعدَّها اللّه لمن كفر به، ولمن آمن به وعصاه، وهم الّذين ألبسوا إيمانهم بظلم، وفيها ألوان من العذاب لا يطيقها هذا الإنسان الضعيف، وهو عذاب وصفه أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: «**ليس هو جَرحاً بالمُدَى ولا ضرباً بالسياط ولكن ما يُستصغَر ذلك معه**»[1].

أسماء النار في القرآن الكريم

وردت في القرآن الكريم أوصاف عديدة للعذاب الّذي وعد به اللّه تعالى من خالفه وعصاه، ومن هذه الأوصاف:

1. **جهنَّم:**

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾[2].

2. **سقر:**

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾[3].

3. **السَّعير:**

﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[4]. وهذه الكلمة مشتقّة من المصدر (سعر) ويعني إذكاء النَّار وتأجيجها، وجاء أيضاً بمعنى شدَّة الاضطرام، ولهذا (فالسعير) يعني النَّار شديدة الاشتعال واللهب والإحراق.

(1) نهج البلاغة، السيد الرضي، ج 2، ص 95.
(2) سورة الحجر، الآيتان: 43 و44.
(3) سورة المدثر، الآيات: 26 ـ 29.
(4) سورة الشورى، الآية: 7.

4. **الجحيم:**

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[1].

5. **الحطمة:**

﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾[2].

وكلمة (الحطمة) صيغة مبالغة من كلمة (حطم)، بمعنى الكسر والتهشيم وفسَّرها بعضهم بمعنى تكسير الأشياء اليابسة.

6. **لظى:**

﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾[3].

وكلمة (لظى) تعني في الأصل النَّار أو شعلة النَّار الخالصة.

7. **الهاوية:**

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾[4].

والهاوية مأخوذة في الأصل من مادة (هوي) بمعنى السقوط لأنَّ الكفّار والمجرمين يسقطون فيها. وكما تحتضن الأم ابنها تحتضن جهنَّم من يرد فيها.

أبواب جهنَّم ودركاتها

ذكرت بعض الآيات أنَّ لجهنَّم أبواباً كما للجنَّة أبواباً، ولكن هناك آية وحيدة ذكرت عدد أبواب جهنَّم دون ذكر لعددها في الجنَّة، وهي قوله تعالى ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ

(1) سورة النازعات، الآيات: 37 ـ 39.
(2) سورة الهمزة، الآيات: 4 ـ 7.
(3) سورة المعارج، الآيات: 15 ـ 17.
(4) سورة القارعة، الآيات: 8 ـ 11.

﴿لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[2]. يطلق في اللغة العربية على الخطوات الصاعدة نحو الأعلى اسم (الدرجة) وعلى النازلة إلى الأسفل اسم (الدركة).

أنواع العذاب في جهنّم

كما أنَّ الثواب الإلهيّ والنعم الموجودة في الجنَّة تقسم يوم القيامة إلى قسمين، (روحية) و(مادية)، فكذلك عذاب جهنَّم أيضاً، يقسم هو الآخر إلى نوعين: روحيّ، وماديّ.

إنَّ أهل النَّار في عذاب دائم، لا راحة ولا نوم، بل من عذاب إلى عذاب، وهم يتمنّون الموت فلا يموتون، قد اسودَّت وجوههم، وأعميت أبصارهم، وأبكمت ألسنتهم، وقصمت ظهورهم، وبدِّلت وجوههم بالسواد، وضربوا بمقامع من حديد، عليها ملائكة غلاظ شداد، فحزنُهم دائم فلا يفرحون، ومقامهم دائم فلا يبرحون ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[3]، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[4]، ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾[5]، ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾[6]، وهم ينادون الله ويدعونه ليخفف عنهم هذا العذاب فيأتيهم الجواب: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[7].

رُوِيَ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال:

(1) سورة الحجر، الآيتان: 43 و 44.
(2) سورة النساء، الآية: 145.
(3) سورة المائدة، الآية: 37.
(4) سورة النساء، الآية: 56.
(5) سورة الرحمن، الآية: 44.
(6) سورة الهمزة، الآيتان: 8 ـ 9.
(7) سورة المؤمنون، الآية: 108.

«وأمَّـا أهـل المعصية فخلِّدوا في النار، وأوثق منهم الأقدام، وغلَّ منهم الأيدي إلـى الأعناق، وألبس أجسادهم سرابيل القطـران، وقطِّعت لهم منها مقطَّعات من النَّار، وهم في عذاب قد اشتدَّ حرُّه، ونار قد اطبق على أهلها، فلا يفتح عنهم أبداً ولا يدخل عليهم ريح أبداً، ولا ينقضي منهم عمر أبداً، العذاب إبتداءً شديد، والعقاب أبداً جديد، لا الدار زائلة فتفنى، ولا آجال القوم تقضى، ثمّ حكى نداء أهل النَّار، فقال: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[1]، قال: أي نموت، فيقول مالك ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾»[2].

طعام أهل النَّار وشرابهم

إنَّ أهـل النار يأكلون ويشربون تماماً كأهل الجنَّة، ولهم ألوان خاصّة من الأطعمة والأشربة، ولكنَّها كلّها لا تغني من جوعٍ، ولا تروي من ظمأ.

وأحـد تلـك الأطعمة (الزقّوم)، وهـي شجرة عظيمة مهيبة تنبـت في قعر جهنَّم ولهـا ثمر، قال تعالـى ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾[3].

وهـي اسم لعشب مرٍّ كريـه الرائحة له أوراقٌ صغيرة، وهو عشب عصارته شديدة المرارة وحادّة الطعم، إذا لامس الجسم تورّم.

أمّا الضريع فهو كالزقوم، يقطع الأحشاء من شدّة حرارته، ولا يتجرَّعه المجرمون من فرط مرارته.

وأمـا الغسَّاق كمـا قوله تعالـى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾[4]. فقـد قيل: هو القيح الغليظ المنتن.

وأمّـا الأشربة الوارد ذكرها فـي القرآن الكريم، يقـول تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ

(1) سورة الزخرف، الآية: 77.
(2) بحار الأنوار، ج 8، ص 292.
(3) سورة الدخان، الآيات: 43 ـ 46.
(4) سورة ص، الآية: 57.

يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۢ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[1].

كمـا أنَّهم يسقون ماء يقطع الأمعـاء ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾[2].

أمَّـا (الغسلين) الّذي ذكرته الآية الشريفة: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾[3] فـإنّ المـعروف بين المفسِّرين وأصحاب اللغة أنَّـه دم يشبه الماء يخرج من أبدان أصحاب النَّـار، وبما أنَّه يشبه الماء الّذي يغسل فيه الانسان، سُمّي بـ (الغسلين).

لباس أهل النَّار

وكمـا فـي النَّار طعام وشـراب ففيها أيضاً اللباس. وليس اللباس لوقايتهم من الحـرِّ، وإنَّما هو زيادة في العذاب، قـال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾[4]، فهي ثياب من نار.

و قال تعالـى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾[5]، والقطران هو النحاس المذاب.

(1) سورة الكهف، الآية: 29.
(2) سورة محمد، الآية: 15.
(3) سورة الحاقة، الآيات: 35 ـ 37.
(4) سورة الحج، الآية: 19.
(5) سورة إبراهيم، الآيتان: 49 ـ 50.

خلاصة الدرس

1. الجنَّة هي الدار الّتي أعدّها الله تعالى لثواب المؤمنين في الآخرة وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.
2. الجنَّة لا تفنى ولا تبيد وهي نعيم محض، فلا يعتريها ما في الدنيا من الكدورة والشقاء.
3. للجنَّة درجات بعضها فوق بعض، وأهلها متفاضلون فيها بحسب منازلهم فيها، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾.
4. إضافة إلى كلّ ما ذكر من الملذات الجسمانية فهناك ملذّات ونعم روحيَّة كانت في الدنيا أملاً وأمنية وهي لقاء رسول الله الأكرم محمّد ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام.
5. النارُ دارٌ أعدَّها الله لمن كفر به، ولمن آمن به وعصاه، وهم الّذين ألبسوا إيمانهم بظلم، وفيها ألوان من العذاب لا يطيقها هذا الإنسان الضعيف.
6. أوصاف جهنَّم في القرآن الكريم؛ جهنَّم، سقر، السَّعير، الجحيم، الحطمة، لظى، الهاوية.
7. كما أنَّ الثواب الإلهيّ والنعم الموجودة في الجنَّة تقسَّم يوم القيامة إلى قسمين (روحيَّة) و(ماديَّة) فكذلك عذاب جهنَّم أيضا يقسَّم هو الآخر إلى نوعين: روحيّ، وماديّ.

أسئلة

1- بماذا تتميَّز جنان الدنيا عن جنَّة الآخرة؟

2- ما هو لباس أهل الجنَّة؟

3- ما هي اللذائذ المعنوية في الجنَّة؟

4- عدد بعض أسماء العذاب في الآخرة.

5- ما هي خصائص نار جهنَّم؟

6- ماذا يأكل أهل النَّار؟

7- عدِّد بعض العذاب الروحيِّ الّذي يلاقيه أهل النَّار.

للمطالعة

عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك يا بن رسول الله شوّقني.

فقال عليه السلام: يا أبا محمّد إنَّ من أدنى نعيم الجنّة يوجد ريحها من مسيرة ألف عام من مسافة الدنيا. وإنَّ أدنى نعيم الجنَّة منزلاً لو نزل به أهل الثقلين الجنّ والإنس لوسعهم طعاماً وشراباً ولا ينقص ممّا عنده شيء. وإنَّ أيسر أهل الجنّة منزلاً لو نزل به أهل الثقلين الجنّ والإنس لوسعهم طعاماً وشراباً ولا ينقص ممّا عنده شيء. وانّ أيسر أهل الجنّة منزلةً من يدخل الجنّة فيرفع له ثلاث حدائق، فإذا دخل أدناهنّ رأى فيها من الأزواج والخدم والأنهار والأثمار ما شاء الله مما يملأ عينه قرّة، وقلبه مسرّةً، فإذا شكر الله وحمده قيل له: إرفع رأسك إلى الحديقة الثانية ففيها ما ليس في الأخرى.

فيقول: يا ربِّ أعطني هذه.

فيقول الله تعالى: إن أعطيتك إيَّاها، سألتني غيرها.

فيقول: ربِّ هذه، هذه.

فإذا هو دخلها شكر الله وحمده.

قال: فيقال: افتحوا له باب الجنّة، ويقال له: إرفع رأسك، فإذا قد فتح له باب من الخلد، ويرى أضعاف ما كان فيما قبل، فيقول عند تضاعف مسرَّاته: ربِّ لك الحمد الّذي لا يحصى إذ مننت عليّ بالجنان ونجيتني من النيران.

قال أبو بصير: فبكيت، قلت له: جعلت فداك زدني.

قال: يا أبا محمّد إنَّ في الجنّة نهراً في حافته جوار نابتات إذا مرَّ المؤمن بجارية أعجبته قلعها، وأنبت الله مكانها أخرى.

قلت: جعلت فداك زدني.

قال: المؤمن يزوّد ثمانمائة عذراء، وأربعة آلاف ثيِّب.

قلت: جعت فداك، ثمانمائة عذراء؟!

قال: نعم ما يفرش فيهنَّ شيئاً وجدها كذلك.

قلت: جعلت فداك، من أيِّ شيء خلقن الحور العين؟

قال: من تربة الجنّة النورانيَّة، ويرى مخ ساقيها من وراء سبعين حُلَّة، كبدها مرآته، وكبده مرآتها.

قلت: جعلت فداك، ألهنَّ كلام يكلّمنَ به أهل الجنّة؟

قال: نعم. كلام يتكلّمنَ به لم يسمع الخلائق بمثله.

قلت: ما هو؟

قال: يقلن نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبوس، ونحن الميقات

فـلا نظعن، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن خلق لنا، وطوبى لمن خُلقنا له، نحن اللواتي لو أنَّ قرن أحدانا عُلق في جو السماء لأغشى نوره الأبصار[1].

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

قلت له: يا ابن رسول الله خوّفني فإنَّ قلبي قد قسا

فقـال: يا أبا محمّـد استعدَّ للحياة الطويلة، فإنَّ جبرائيل جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو قاطـب، وقـد كان قبل ذلـك يجيء وهو مبتسـم، فقال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا جبرائيل جئتني اليوم قاطباً؟

فقال: يا محمّد قد وُضعت منافخ النَّار.

فقال: وما منافخ النَّار يا جبرائيل؟

فقال: يا محمّد إنَّ الله عزَّ وجلّ أمر بالنَّار فنفخ عليها ألف عام حتّى اسودّت فهي سوداء مظلمة.

لو أنَّ قطرةً من الضريع قَطَرت في شراب أهل الدنيا لمات أهلها من نتنها، ولو أنَّ حلقةً واحدةً من السلسلة الّتي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرّها،

ولـو أنَّ سربالاً مـن سرابيل أهل النَّار علّق بين السمـاء والأرض لمات أهل الدنيا من ريحه.

قال: فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبكى جبرائيل، فبعث الله إليهما ملكاً، فقال لهما: إنَّ ربَّكما يقرئكما السلام ويقول: قد أمنتكما أن تذنبا ذنباً أعذبكما عليه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: فما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبرائيل مبتسماً بعد ذلك. ثمَّ قـال: إنَّ أهل النار يعظّمون النار وإنَّ أهل الجنَّـة يعظّمون الجنَّة والنعيم، وإنَّ جهنَّم إذا دخلوها هووا فيها مسيرة سبعين عاماً، فإذا بلغوا أعلاها قمعوا بمقامع الحديد،

(1) تفسير القمي، ج 2، ص 82 و83.

وأعيدوا في دركها، فهذا حالهم، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾[1]

ثمَّ تبدَّل جلودهم غير الجلود الّتي كانت عليهم.

قال أبو عبد الله عليه السلام: حسبك؟

قلت: حسبي، حسبي[2].

(1) سورة الحج، الآية: 22.

(2) تفسير القمي، ج 2، ص 81.